

روايات رومانسية عالمية
عبيير

فراشة المحبة

آنت ميثر

شراء السدم



www.lilas.com

www.lilas.com

روايات رومانسية عالمية عبير

فراشة المحبة

نداء الدم

هل يعرف الابن أمه ولو لم يشاهدها منذ ولادته؟ وهل نحن عروق البنت الى والدتها ولو انه هجرها قبل ان ترى النور؟ سؤال عجيب عنه هذه الرواية في سياق لا مثيل له تجلست خلاله صراحة الاطفال وتعقيدات الكبار .

لقد اخطأت راشيل مرة في حياتها . ومن لا يخطئ لا يكون بشراً ، الا انها حملت توبتها وراحت تحاول الابتعاد عن اجواء ... تلك الليلة . لكن القدر رفض ان يتركها طليقة بعيدة عن جويل كينغدوم . ارادت ان تتزوج والده الثري الكبير بهدف حماية ابنتها سارة فلم يتركها تفعل ووقف في وجهها ونفوف الصخر بوجه الامواج . لكن ماذا يريد هذا الرسام البوهيمي الذي يكره الزواج والاطفال ؟ وهل يأخذ منها كل شيء بعدما اذلت سنوات طويلة ؟

مكتبة زهران

١٥ ش الشيخ محمد عبده

خلف الجامع الأزهر

ت : ٠١٢٣٧٨٦٤١٨

www.liilas.com

١- ليلة "الديك الذهبي"

انحرف جويل بسيارته عن الطريق الرئيسي عند مغرق سالتون، واتجه صوب الغرب، الأراضي تمتد أميالا تكسوها شجيرات الوزال الشوكية بخضرتها الدائمة وزهورها الصفراء، تنتثر بينها بعض الاكواخ، يتصاعد الدخان من مداخنها ليكون العلامة الوحيدة التي تنبئ عن وجد حياة.

أخذ المساء يظلل أشعة الشمس المائلة ومزيج ألوان الضوء يبدو رائعا، ومع ذلك فان جويل -بحاسته الفنية- لم ينتبه لجمال المنظر، اذ كان مشغول الخاطر تماما ... ولم تكد الشمس تغرب حتى بدا الأفق بلونه الشفيف، وبدت النجوم من خلاله كأنها ترتعد.

كانت السيارات المقبلة من الاتجاه المعاكس تضطر الى أن تتخلى عن موقعها في وسط الطريق لسيارته المرسيدس، ولم يكن جويل في حالة نفسية تسمح له بأن يتنازل ولو بعض الشيء ... كانت معدته تذكره بأنه لم يأكل شيئا منذ الصباح، وكان يحس بالظما.

نظر الى الساعة الذهبية في معصمه، وكانت قد تخطت الساعة مساء، وأحس بالظلام يرخي سدوله ولم يكن راغبا في القيادة على ذلك الطريق خلال الليل، وبدأ يدرك أنه أمسي على بعد خمسة أو ستة أميال فقط من لانغثويت، وربما يكون سعيد الحظ فيجد في الفندق كل ما يريده حتى صباح اليوم التالي.

كانت القرية صغيرة، تقوم حول ميدان مستدير، صندوق الهاتف يقبع خارج مكتب البريد قرب المتجر، وأخيرا الحانة التي تحمل اسم "الديك الذهبي"، وكان كل ما يطمع فيه مكانا نظيفا للنوم، وشرابا باردا ينعشه.

وكان شاب أو شابان يتسكعان في الساحة، أثار فيهما منظر السيارة المرسيدس بعض التعليقات الفظة واضطر جويل أن يترك السيارة خارج الحانة داعيا الله ألا يعيب

أحد بمسامير صدئة في طلائها وسأل نفسه: أين ذهب السحر الريفى القديم الذي كان يحلم به؟

وترك جويل حقيبته في صندوق السيارة، وارتدى سترته الصوفية وأحكم رباط العنق وهو يجتاز المدخل المؤدى الى الحانة ولم يكن فيها سوى شخص أو شخصين من الزبائن المسنين. الفتاة التي تقوم على الخدمة في مقبل العمر، شقراء مفعمة بالصحة، بدأت تعير اهتمامها للوافد الغريب ذي البشرة السمراء، وغمرته بنظرة دافئة مشجعة، وقالت له:

"حسنا، يا سيدي، بم تأمر؟"

وأخرج جويل حافظة نقوده من جيبه الداخلي ثم قال:

"أوه، أي شيء بارد من فضلك..."

ونظر حوله، ثم سأل:

"أعتقد أنكم تستقبلون النزلاء للمبيت؟"

وملأت له الكأس، وناولته إياها، واتسعت عيناها، ونظرت اليه بشيء من الفضول، واستوضحته:

"نزلاء للمبيت، يا سيدي؟ أعتقد أن السيد هاريس يمكن أن يستقبل زائرا أو زائرين، وإن كنت غير متأكدة..."

وناولته المبلغ المتبقي له والتقت عيناها، وهي تقول:

"أتحب أن أسأل لك عن المبيت، يا سيدي؟"

ووضع جويل باقي النقود في جيبه، وقال:

"إذا سمحت! "

عند ذلك نظرت اليه الفتاة، واستدارت وهي تهز كتفها وانصرفت.

أراح جويل جسمه على كرسي مستدير من كراسي الحانة، كان الشراب باردا لذيذا ومنشطا، كما أراد بعد تلك الساعات الطويلة في قيادة السيارة، وخطر له أن لانغثويت لم تكن عادة تستقبل غير زائرين قلائل في مثل ذلك الوقت من السنة. ظهرت الفتاة ومعها رجل في أواسط العمر بدا أنه صاحب الحانة، واصطنع جويل ابتسامة اعتقد أن الرجل بادله مثلها، واستند هاريس بذراعه وهو يسأل:

"سمعت أنك تريد مكانا للمبيت، هل تطول إقامتك؟"

وأجاب جويل في هدوء:

"ربما ليلة واحدة فقط..."

واستفسر الرجل الأكبر سنا:

"فأنت مسافر على الطريق إذن، يا سيدي؟"
وهز جويل رأسه، ثم أذعن لفضول السائل، فقال:

"إنني في مهمة في لانغثويت..."

وأجاب السيد هاريس:

"حسنا، هناك غرفة، وزوجتي تعدها لك الآن، هل نقدم لك الطعام أيضا؟"

كان جويل بالفعل يقاسي من الجوع، وأجاب في هدوء يستحوذ على الإعجاب:

"إذا كان ذلك ممكنا، وتكفيني لهذا المساء بعض الشطائر، وربما يكفي بعض الخبز المحمص للافطار..."

عند ذاك ظهرت سيدة ظن جويل أنها السيدة هاريس، وتحدثت مستفسرة:

"هل هذا هو السيد الذي يريد أن يقضي الليل هنا؟"

وأوما زوجها بالإيجاب، فأضافت:

"حسنا، يا سيدي! غرفتك حاضرة وأظن أنك جائع؟"

نظر جويل الى السيدة هاريس وأجاب:

"آنا، حسنا..."

وأوما بالموافقة، وعلق زوجها:

"نعم يا الي... ان السيد (والتفت اليه مستفسرا) لم أعرف بعد اسمك يا سيدي... (ثم أكمل الحديث لزوجته) انه يريد الطعام..."

ورد جويل فورا:

"اسمي كنفدوم، جويل كنفدوم... من لندن..."

وضعد الى غرفته في الطابق الاول، وتناول العشاء في غرفة صغيرة تستخدمها الاسرة عادة. وجاءت السيدة هاريس لتقوم بنفسها على خدمته، ولم يكن ذلك ليحرمه من الشقراء التي قدمت له الشراب في الحانة، كانت تلمس العذر لتدخل فجأة وتخرج بعد أن تسأله اذا كان يلزمه أي شيء، كان فمه يبدو غنيذا ساخرا بعدما أتى على الوجبة التي قدمتها له السيدة هاريس التي دخلت وبدا عليها شعور بالارتياح عندما وجدت الصحن خاليا فقالت:

"أرجو أن يكون الطعام أعجبك يا سيدي..."

وأوما جويل برأسه علامة الموافقة، وقال:

"كان لذيذا للغاية... شكرا يا سيدة هاريس... وابتسمت

وكان وجهها ينم عن سرورها، وقالت وهي تجمع الصحون:
"سوف تقيم معنا الى الغد فقط؟"

ونهض جويل، وهو يقول:

"أمل ذلك ... أعني بالطبع أن العمل الذي قدمت له ربما لا
يأخذ وقتا أطول من ذلك (تنهد)، ثم أضاف:
"ينبغي أن أعود الى لندن".

قالت مستفسرة:

"إذا ... فأنت تعمل في لندن، يا سيد كنتغوم ..."

وأجاب جويل بطريقة تنم عن عدم الرغبة في إعطاء اجابة
شافية:

"أحيانا ..."

وسألت:

"ولكنك تسكن هنا؟"

وأجاب:

"يمكنك أن تقول ذلك ..."

كانت السيدة هاريس كما يبدو تحاول العثور على مدخل
للتعرف على مهمته. وكان هو من جانبه يحاول التهرب من
الاجابة على مثل هذا السؤال، وقال:

"إذا أدنت، سأصعد الى غرفتي الآن ... كان يومنا مضمنا،
وأشعر بشيء من التعب ..."

وحاولت السيدة هاريس أن تخفي شعورها بالاحباط،
وأجابت:

"طبعاً، يا سيدي، انك تعرف المكان ..."

وابتسم جويل وقال:

"طبعاً! تصبحين على خير!"

وظهر عليها الرضا الكامل لطريقته المهذبة في الحديث،
وأجابت مبتسمة:

"وأنت بخير يا سيدي ..."

وسلك جويل طريقه عبر الردهة الى الدرج، وظهرت الفتاة
الشقراء عند المدخل تقول بشيء من الحياء:

"ألا تأتي لتأخذ شراباً الآن؟"

وهز رأسه وهو يقول:

"لا، أشكرك!"

وردت في الحال:

"غير معقول ... هل تنام الآن؟"

وأجاب:

"ولم لا؟ أليست الساعة بعد العاشرة؟"

وردت عليه باستغراب:

"يا للغرابة! العاشرة! كنت أظن أن سكان لندن يسهرون الى
ساعة متأخرة من الليل! ماذا حدث لسنوات السبعينات
الراقصة المرححة؟"

وأجاب بجفاف:

"أعتقد أنها شغقت نفسها ... أسعدت مساءً!"

كان الفراش بارداً كالثلج، ولكن حرارة الافكار التي كانت
تعمل بداخله ساعدته على احتمال الموقف. اضطجع جويل
على ظهره، وأسند رأسه على ذراعيه، وبدأ يحدق بعبوس في
ظلال الأزهار البارزة على الستائر المصنوعة من "الكريتون".
أخيراً، إنه هنا في لانغثويت، وفي بقعة ما بالخارج ... ربما
على مسافة ميل ... توجد راشيل ... راشيل غيلمور كما
تسمي نفسها الآن ...

وأحس بمذاق الصفراء الكريه في مؤخرة حلقه: راشيل تظن
أنها تستطيع أن تفعل ذلك ... به هو! وتكورت يداها بشدة،
وانضغطت كل منهما في قبضة قوية، لو تمكن منها هنا ...
والآن، لاعتصر عنقها بيديه!

ولكن الانفعال كان ضياعاً ... انه يعرف أن الهدوء
والموضوعية لهما فعل أوقع، ولكن لم يكن بوسعها أن يتأكد
تماماً أنها فعلت ذلك للنكايه به، ومع ذلك فأية محاولة لتبرير
سلوكها لم تكن شيئاً مستساغاً.

كان يعمل في وضع اللصات الاخيرة للوحة السيدة أنطونيا
باري عندما جاء فرنسيس يدق بابه، كان قد استيقظ في ذلك
اليوم مبكراً عن عمد ليستفيد بالضوء، وصار فرنسيس أخوه
غير الشقيق، يحكي القصة التي جاء بها الى جويل في تلغيم
حتى أكملها، ولكن جويل لم يأخذ القصة على أنها ورطة مالية
جاء يطلب فيها العون العالي من أخيه، وقال جويل بشيء من
القلق:

"ولكنني لا أفهم لماذا تظن أن تفكير أبي في الزواج يمكن أن
يسبب لي الضيق ..."

عندئذ أخذ فرنسيس يذرع بخطواته المرسم، وهو يردد:

"بالطبع، لا يهملك ... تركت لك جدتك ثروة كبيرة ... أما أنا فليس لي أقارب أثرياء من طرف أمي، وإذا تزوج أبي مرة أخرى، فالمنتظر أن يحرمني من الميراث كما حرمك!"
كان جويل قد أخذ يدفع شعره الى الخلف بيدين مضطربتين، وعلق قائلا:

"لكنك لم تكترث عندما حدث ذلك، (وأضاف) كان الامر يختلف في حالتي وأنت تعلم ذلك، كان أبي يعلم أنني لست بحاجة الى ثروته، وكما تقول أنت فان جدتي هونت من دور أبي في رسم مستقبلي. أما بالنسبة اليك فالامر مختلف، انك ابنه، وحتى لو تزوج، فان الامل في أن ينجب أطفالا ضعيفا! ألا ترى أنه في الثالثة والستين من عمره؟"
وأجاب فرنسيس:

"ألا تعلم أن بإمكان الرجل أحيانا أن ينجب حتى لو كان في التسعين من عمره، ومع ذلك فانك لم تسمع القصة كاملة بعد، انك لم تسأل: من تكون المرأة التي ينوي أن يتزوج بها؟"
وهز جويل كتفيه بشيء من عدم الاكتراث، وهو يقول:

"ان ذلك امر لا يهم."
واستأنف فرنسيس الحديث، وهو يتلذذ بوقع كلامه على أخيه:

"ربما يهم، اسمها غيلمور ... راشيل غيلمور ... وكان اسمها من قبل راشيل أبي."

عند ذاك فقط حدث ما لم يكن متوقعا، فقد انطلق جويل بخطوات غريبة وفعل ما لم يكن منتظرا بالمرّة اذ أمسك بأخيه غير الشقيق من قميصه، وجذبه تجاهه بعنف، وهو يقول:

"ماذا تقول؟"
وقع فرنسيس في شيء من الاضطراب، وأخذ يخلص نفسه، وهو يقول:

"هذه ... هي ... ال ... حقيقة ... الحقيقة يا جويل ... انها، را ... راشيل ... راشيل!"

دفعه جويل بعنف جعله يدور حول نفسه، وبستقر في النهاية على الارض، وكان وجهه ممتقعا من الغضب عندما نهض على قدميه، وأخذ ينفخ التراب عن ثيابه، وهو يحدق في أخيه بخبث:

"إنها ليست غلطتي ... فقط لأنك لا تحب الحقيقة ..."

عندما تسمعها ...

لم يعد جويل يسمع ... عرف أن ما قاله فرنسيس صحيح ... وهو لم يكن ليأتي اليه بقصة مثل تلك ان لم يكن لديه البرهان على صدقها، وأخذ يبحث عن سيكار، وضعه في فمه ثم أشعله بيدين تفتقدان الاتزان، وصار يحملق باكتئاب خارج النافذة، كان يطل على شاطئ نهر التيمز عبر السطوح ... وعندما أحس أنه استعاد بعض توازنه استدار تجاه فرنسيس الذي أشعل سيكارا، وأخذ ينفث دخانه بعصبية عندما بادره جويل بقوله:

أخبرني بما تعرفه ...
وتملل فرنسيس وأجاب في دممة:

"لا أعرف ...
وتصلب فك جويل وهو يقول:

"لا تحاول أن تخدعني، قل لي كيف عرفت أنها راشيل ...
وأجاب فرنسيس:

"رأيتها ...
ماذا تعني؟"

"رأيتها، أوه، بالله يا جويل! كف عن النظر الي هكذا! انها ليست غلطتي، في الليلة الماضية ... مع أبي! حقا ...
ونطق بالعبارة الاخيرة عندما ألقى جويل بسيكاره الى الارض، وسحقه بنعل حذائه ...

"أين؟"
"في بيروكيوس يتعشيان ... رأيتهما ... أوكد لك ...
كان جويل يحرك رأسه من جانب الى آخر تعبيرا عن الشك، وقال:

"أبدأ من البداية!"
أخذ فرنسيس يدخل سيكاره بشدة، وهو يقول:

"حسنا! عرفت منذ وقت، أن هناك امرأة ... أوه، نعم، منذ ... منذ أن رحلت أمي ... كنت أستطيع أن أعرف ذلك ...
أرجوك ... ادخل مباشرة في الموضوع ..."

"منذ أسبوع، أخبرني أبي أن هناك شخصا ما ...
ولكنك لم تخبرني بذلك من قبل!"

"ليس فورا، لا! (قال فرنسيس ذلك مدافعا عن نفسه) كما ذكرت في كلامك يا جويل، ان عمره ثلاثة وستون عاما، وكنت أظن، أن أي امرأة لا يمكن أن تقبل به إلا اذا كانت في

مثل سنه! وأنت تعترف كذلك أن أمي وأمك كانتا قريبتين
منه في العمر...
"حسنا... استمرا"

"الذي حدث هو أنني لم أسأل كثيرا، ولقد أخبرني، وكان
الأجدر به أن يضحك كثيرا عندما أخبرني... أن اسمها
السيدة غيلمور... السيدة راشيل غيلمور. وأنت تعرف أن
اسم راشيل ليس اسمها مألوفاً."

وسأل جويل:

"هل هذا هو كل شيء؟"

وأجاب فرنسيس:

"لا! قال أنها قادمة من يوركشير، وأنها تعمل في قرية تسمى
لانغثويت كمديرة منزل في بيت كولونيل متقاعد..."

وأخذ جويل يكرر الكلمات نفسها:

"مديرة منزل في بيت كولونيل متقاعد..."

"نعم، هذا ما قاله لي..."

"ربما تكون أخطأت..."

"أؤكد لك أنني رأيتها..."

"لا أقصد ذلك، إنما أقصد العمل الذي تشتغل به، أنت تعرف
يا فرنسيس أن راشيل كانت تدرس في الجامعة عندما..."

وأكمل فرنسيس الجملة:

"عندما هجرتك... أليس كذلك؟ ولكن كيف تعلم إذا كانت
أكملت دراستها أم لا؟ كان ذلك منذ ست سنوات... وتزوجت
وأنجبت طفلاً..."

وشحب وجه جويل الاسمر، وهو ينطق:

"طفل! هل أخبرك أبي بهذه القصة كذلك؟"

وأطفاً فرنسيس سيكاره ونظر إلى أعلى وهو يقول:

"نعم، ذلك قد يفسر لماذا تعمل كمديرة منزل، أقصد أنه ليس
من السهل أن تجد المرأة عملاً إذا كان لديها أطفال..."

وصاقت عينا جويل تحت رموشه الكثيفة، وهو يسأل:

"وماذا عن زوجها؟"

وهز فرنسيس كتفيه، وقال:

"كيف لي أن أعرف؟ ربما يكون قد توفي. قال أبي إنها
أرملة..."

وخطا جويل عبر الغرفة، وهو يقول:

"أرملة... لا أكاد أصدق ذلك، هل أنت متأكد أن هذا كله لم
يكن إلا خدعة ماهرة لتحقيق نزواته؟"
"ماذا تعني؟"

وهز جويل رأسه، وأجاب:

"لا أعرف، كان أبي يكرهني لأنني كنت أعارضه..."

"لا أعتقد أن أباك كان يكرهك، يا جويل..."

"بل أعتقد أن رغبته في الزواج من راشيل لهذا السبب
بالذات..."

"إنك مجنون!..."

"هل تعتقد ذلك؟"

كانت ملامح جويل، وهو يتكلم مشبعة بالحقد، وأضاف:

"هل هذا هو كل شيء؟"

وأجاب فرنسيس:

"ما الذي تريد أن تسمعه مني... بعد ذلك؟"

"ما الذي قاله أبي عندما أخبرك؟"

"أخبرت بك كل ما أعرف..."

"لكنك لم تخبرني، كيف رأيتهما معا في الليلة الماضية؟"

تنهد فرنسيس، وقال:

"كان ذلك مصادفة، وأبي لا يعرف أنني رأيتهما..."

"وماذا بعد؟"

"كنت ذاهبا إلى فريديز... وكنت بحاجة إلى المال..."

"كالعادة..."

"تذكرت بيدي سيمونز فجأة..."

كان بيدي سيمونز صاحب مطعم، بيروكيوس، وكان جويل

يعرف ذلك أيضا...

"ذهبت إلى هناك لأنني كنت أنوي اقتراض مبلغ من المال..."

وهناك رأيتهما..."

"وتركت المكان؟"

"نعم..."

"كم كان الوقت عندئذ؟"

هنا نظر فرنسيس إلى ساعته، وقال:

"حوالي الحادية عشرة..."

"ولكن الساعة الآن الثامنة والنصف! إذن ماذا كنت تفعل خلال

تسع ساعات ونصف الساعة؟"

هز فرنسيس رأسه، وقال:
"لم أكن أعرف ماذا أعمل؟ ولم أكن أعرف هل أخبرك بما حدث
أم لا؟"
"ولم لا؟"

وهز فرنسيس رأسه وقال:
"لقد ... سرت ... أميالا ... ووصلت الى شقتي حوالي
الرابعة وكان بوسني أن أطلبك في الهاتف عندئذ، ولكنني
ظننتك مشغولا."

لم يكن ما يقصده فرنسيس بخاف على جويل، وكانت
شغته ترتعدان، وألقى نظرة أخيرة الى اللوحة الخاصة
بالسيدة أنطونيا، ثم سار عبر الممر الى الباب المؤدي الى
الجزء الاساسي من الشقة، وقال بصوت متناقل:
"حسنا، سأصنع بعض القهوة، أعطيت هيرون إجازة الليلة،
وعلى ذلك فانه لن يعود الا متأخرا، ويمكننا أن نواصل حديثنا
في المطبخ ان شئت."

عرف جويل فيما بعد أن راشيل عادت الى يوركشير ووجد أن
أباه لم يكن مهتما في الحديث عن السيدة غيلمور عندما
اكتشف أن ابنه الاصغر أخبر جويل بالخطط التي كان ينوي
السير فيها. واضطر جويل أن يمسك لسانه وأن يسيطر على
قبضتي يديه عندما وقف أمام أبيه بوجهه الذي يعبر عن
الاعتداد بالنفس، ولو كانت هناك بقية من شك في صدق ما
قاله فرنسيس لزال هذا الشك تماما أثناء المقابلة التي تمت
بينه وبين أبيه. كان جيمس كينغدوم راضيا تماما عن نفسه.
ووجد جويل أن غضبه تركز على راشيل بعنف يكاد يصل الى
الرغبة في تدميرها، كيف تجرؤ على ذلك؟ كان يسأل نفسه
هذا السؤال مرارا وتكرارا، كيف تجرؤ على أن تفعل هذا به؟
لا بد أنها كانت تكرهه الآن كما يكرهها وتحقد عليه بالدرجة
نفسها من الحقد الذي بدأ يشتعل في نفسه ازاءها.

ورغم ذلك لم يكن ليسمح بسهولة بأن يحدث ما كان وشيك
الحدوث. وجد نفسه يدافع باستماتة عن حقوق فرنسيس، ولم
يكن ليصرح بدوافعه الحقيقية التي لم تكن تفل أنانية، لو أن
راشيل كانت قد تزوجت بالفعل، وأنجبت طفلا، فهي تكون
بذلك قد أثبتت خصوصيتها، وأبوه كان لا يزال قوي الصحة
مكتمل الرجولة، كانت زوجتان تكفيان أي رجل في رأيه

ناسيا أنه لو لم تمت أمه عقب ولادته مباشرة لما فكر أبوه في
الزواج من أخرى.

كان قد مضى على ذلك ثلاثة أيام تمكن فرنسيس خلالها من
اكتشاف اسم مخدوم راشيل هو الكولونيل فرنشاو. وعرف أن
هذا الكولونيل يعيش في مبنى الأولد هول في لانغثويت
واعتقد جويل أن الوصول الى ذلك المكان لن يكون بالأمر
العسير.

وحاول في الحاح أن يستجمع في مخيلته صورة الفتاة التي
قرر أن يقترن بها ذات يوم. وكانت السنوات الست التي
مضت قد وضعت نقابا مشوشا على ملامح راشيل، كان يستطيع
أن يتذكر بعض التفاصيل حول راشيل. ولكن من الصعب عليه
أن يصيغ تلك التفاصيل في منظور صحيح.

ست سنوات، كانت بمعيار الزمن، فترة طويلة، كيف تبدو
الآن وهي في الرابعة والعشرين أو الخامسة والعشرين من
عمرها، لا بد أنها تستطيع أن تتذكر، كانت أصغر منه بعشر
سنوات، ولكنها كانت تسيطر عليه، وهي ما زالت بعد صغيرة
في تلك السن، لم يكن لامرأة قبلها أو بعدها شيء من تلك
السطوة على شخصه، ومضى في هواجسه، عندما يقابلها في
الغد سوف يجعلها تعلم أنها قضمت بأسنانها أكثر مما
يستطيع قمها أن يحضغه عندما قبلت أن تقف منه موقف
التحدي، كيف تجرؤ على أن تتخيل أنها يمكن أن تصبح عضوا
في أسرته بدون أن تثير ردود فعل منه؟ واستولت عليه
الفكرة، وألحت عليه... ولم تتركه الا بعدما جمدت أطرافه
من نوبة الغضب...

فراشة المحبة ٢- عمر سارة

وفي الصباح التالي كان من اليسير عليه أن يسأل السيدة هاريس عن موقع الأولد هول، ورفعت السيدة هاريس حاجبها وهي تقول:
"تقصد منزل الكولونيل فرنشاو؟ هل أنت صديق له يا سيد كنعندوم؟"

وأجابها وهو يزدرد الليمونة الهندية التي أمامه:
"ليس بالضبط، أعرف شخصا هناك... يعمل لديه..."
"لا بد أنه السيد هانسون... هل هو ذاك يا سيدي؟"
وهز رأسه إلى أعلى وقطب وجهه، وأجاب:
"هانسون، لا! لا أعرف أحدا بهذا الاسم."

وزمت السيدة هاريس شفطتها، وهي تقول:
"لا تعرف، ان السيد هانسون هو سكرتير الكولونيل فرنشاو، إنه شاب مثقف، ويأتي إلى هنا أحيانا في عطلة الأسبوع."
وازداد وجه جويل تقطيبا، وعلق في تردد:
"حقا؟ لا! إن الشخص الذي أعرفه هو - في ظني - مديرة منزل الكولونيل."

وانفجرت أسارير وجه السيدة هاريس وصاحت:
"السيدة فيلمور؟"
وركز بصره على الليمونة الهندية، وقال:
"صحيح."

ورفعت السيدة هاريس حاجبها، وقالت:
"لا أعرف عن السيدة الشابة أكثر من التحية التي نتبادلها أحيانا."

كان جويل يفكر بسرعة، وعلق على إجابتها:
"ولكن، هل يوجد آخرون يعملون هناك، أعني في الأولد هول؟"
"على حد علمي، لا! هناك فقط الكولونيل فرنشاو السيد هانسون، والسيدة غيلمور بالطبع، أوه والصغيرة سارة."

وشعر جويل بوخز في أعصابه، فسألها:
"أهي ابنة السيدة غيلمور؟"
"نعم... وأنت تعرف ذلك؟"

لم يجب جويل بشيء... إذا فالطفل أنثى واسمها سارة.
ووجد نفسه يلح على السيدة هاريس ليجرها إلى الكلام:

"كنت تنوين أن تخبريني كيف أجد الأولد هول؟"

وأومات بالموافقة، ورفعت من أمامه صحن الليمونة الهندية، ووضعت بدلا منه صحنا آخر فيه قطعة من اللحم، وشيئا من البيض والسجق والطماطم. كان ذلك الطعام في العادة يثير شهية جويل، ولكنه بعد الليلة القلقة التي قضاها كان يحس بالغثيان، ومع ذلك أرغم نفسه على الطعام وبدأ باللحم:

"لو أنك تتبععت طريق كراغستون لمسافة ميل فسوف تجده على يسارك. إنه البيت الوحيد لأميال عديدة."
"أشكرك."

وسكب جويل لنفسه بعض القهوة، كانت الساعة تشير إلى الثامنة والنصف. وخطر له أن التاسعة قد تكون وقتا مبكرا لا يسمح بالزيارة. ففكر في الاتصال بالهاتف، ولكنه كان يريد أن يرى الانطباع الذي يرسم على وجه راشيل عندما تراه، وكان يريد أن يستشعر نشوة الزهو التي تتملكه عندما يواجهها بنظرات الاحتقار.

كان الصباح لطيفا في ذلك الوقت الباكر من شهر مارس / آذار، وقرر أن يلبس سترة تنسجم مع سرواله الأزرق الغامق، وأخذ يدفع ذراعيه في أكمام السترة بينما عيناه تتفحصان ساحة القرية، تحت أشعة الشمس الساطعة، ووقعت عيناه على زهور النرجس البرية وعلى أزهار بيضاء وصفراء تنمو في كل شبر من الأرض أما المباني فكانت تبدو نظيفة مهتني بها.

لم يكن العنور على طريق كراغستون أمرا صعبا بعد إرشادات السيدة هاريس ووصل إلى مبنى الأولد هول. كان الدخان يتصاعد بشدة من المداخل، دليلا على أن بعض سكان المنزل استيقظوا، وكانت هناك حافلة صغيرة قديمة تنتظر في الساحة الامامية، وبوابات صدئة من الحديد انفجرت تاركة المدخل مفتوحا على مصراعيه. وتوقف جويل بسيارته

أمام تلك البوابات مباشرة غير واثق إذا كان ينبغي عليه أن يترك السيارة في ذلك المكان أم لا؟ ولكنه عندئذ ألقى الكابح وولج بسيارته بين أعمدة البوابة، واندفع فوق الممر المفروش بالحصى ووقف إلى جوار الحافلة الصغيرة.

وترجل من السيارة، ووقف لحظة ينظر إلى النوافذ المطفاة. إذاً، هذا هو المكان الذي تعيش فيه. منذ متى؟ السنتان الأخيرتان أم السنوات الثلاث الأخيرة؟ ودفع كتفيه إلى الخلف وواصل حديثه مع نفسه: منذ موت زوجها، دون شك، وغيلمور؟ من يكون؟ ماذا كان عمل ذلك الرجل الذي تزوجها لتلك الفترة القصيرة؟ ولماذا تزوجته؟ هل أحبته؟ لو كان الأمر كذلك، فلا شك أن الحب كان يعرف طريقه إليها بأسرع مما كان يعرف طريقه إليه، ومشى إلى مدخل المبنى. وبدأ يشد بقوة حبل الجرس. وسمع رجع الصدى يتردد في جنبات المبنى، كان الصوت كفيلاً بإيقاظ الموتى.

وفتح الباب شاب نحيف يميل شعره إلى الحمرة ووقف ينظر إليه في ترقب، وقال:

"نعم؟"

وشعر جويل بشيء من الاضطراب، وتعثّر في الكلام لحظة ثم ملك نفسه، وقال:

"أريد أن أتحدث إلى السيدة غيلمور."

ورد الشاب في الحال:

"راشيل!"

أجاب:

"نعم، راشيل!"

وبدا أن الشاب كان يضر له عدم الود، إذ أجابه:

"إنها مشغولة الآن، تستطيع أن تأتي فيما بعد."

وتذرع جويل بالصبر، وقال:

"أرجوك أن تبلغها أن شخصا من أسرة كنفدوم يريد أن يتحدث إليها. أعتقد أنك ستجدها راغبة في الحديث إلي."

ونظر إليه الشاب بشيء من البرود، وأخذ يردد:

"كنفدوم، أنت أحد أقارب جيمس كنفدوم؟"

وأجاب جويل وهو يهم بالاقتراب من عتبة الباب:

"نعم، والآن، هل تبلغ رسالتي من فضلك؟"

وهز الشاب كتفيه، واستدار ليعبر الردهة الفسيحة

في مدخل المنزل، أما جويل فأسند كتفه إلى دعامة الباب. لا بد أنه هانسون الذي تحدثت عنه السيدة هاريس، كان يبدو أصغر سناً مما كان يتوقع.

وسمع من خلفه صوتاً:

"هل طلبت أن تتحدث إلي؟"

ودفع رأسه في استدارة إلى الوراء. لم يكن قد أحس باقترابها، ومع ذلك كانت راشيل، كانت تقف عند المدخل مباشرة، واضعة يديها في جيوب مريلتها القطنية المخططة، وجهها أكثر نحافة مما عرفه، متورداً بشكل ظاهر في بعض أجزائه وشاحباً بما يشبه الموت في مواضع أخرى، وكان جسمها أكثر نحافة، ولكن شعرها الحريري الأشقر أصبح حبيساً الآن في عقدة قاسية تتدلى على مؤخرة عنقها واعتدل جويل في وقفته بعض الشيء وسمع لعينيه أن يتفحصها بطريقة تنم عن ازدراء مقصود، وعلق بسخرية:

"شيء جميل حقاً، السيدة غيلمور ماثلة أمامي؟"

"ماذا تريد مني يا جويل؟ هنا مكان عملي، وعندي من العمل ما يشغلني."

كانت أنفاسها تضطرب وهي تتحدث بسرعة، ولاحظ جويل أن هانسون يرقب من الداخل، وعندئذ نفذ صبره، وقال بقسوة:

"ينبغي أن تتخلصي من كلب الحراسة الذي يرقبنا، وتخرجي لتتحدثي إلي، لست أنوي أن أسمع بهذه المناقشة تحت بصر أحد؟"

عندئذ جاء صوت من الداخل ينادي:

"راشيل!"

كان هانسون على وشك أن يتدخل، ولكنها أشارت إليه ألا يزج بنفسه في الموضوع، وتحدثت إلى جويل:

"أعتقد أنك جئت تطلب تفسيراً."

"يا لك من شيطانة! هذا حق، انني فعلاً أريد ذلك."

"لكن أياك وعد ألا يخبرك."

"حقاً؟ إنه شيء عظيم منه."

"ولكنه أخبرك بالفعل."

"لا بد أن أصحح لك، فلقد رأكها فرنسيس معاً."

"أوه! يا لله!"

وحدث جويل فيها ببرود، وهو يقول:
 "إن الله لن يقف بجانبك الآن ... هل تتخلصين من صديقك
 هذا؟ أم تتركين لي ذلك؟"
 وأجابته بشيء من التردد:
 "لا أستطيع أن أحدث اليك ... الكولونيل ينتظر طعام
 الإفطار الآن و ... و ..."
 "راشيل! انني أحذرك ..."
 ولوث يديها المتشابكتين توجعاً، وهي تقول:
 "حسناً، يا جويل ... حسناً ... سأحدث اليك ... ولكن
 ليس الآن ... ولا هنا ... وليس بهذه الكيفية ..."
 ونظرت إلى الوراء من حديد نظرة خاطفة، ثم قالت:
 "هل تأتي فيما بعد ... هذا المساء ان شئت؟"
 لم يكن يعجبه أن تقف حيث كانت تتحدث عن افطار
 الكولونيل، ولكنه يدرك أنه لو فقد شعوره وأحدث صخباً في
 المكان فما كان ذلك يعني شيئاً، كان يعلم كذلك أن المكان
 ملكية خاصة لا قبل له بالبقاء فيه دون موافقة المالك، والا
 كان متعدياً على أرض الغير، وضبط مشاعره بصعوبة بالغة
 وقال:
 "حسناً بعد الظهيرة، إذا، في أي وقت بالضبط؟"
 وهزت راشيل كتفها بشيء من العصبية، وهي تقول:
 "لا أدري، ربما توافقك الثانية؟ أو الثانية والنصف؟"
 "إذن هي الثانية"، قالها جويل بشيء من العيوس دون أن
 ينطق بكلمة أخرى، ومشى بخطوات واسعة تجاه السيارة.
 أمضى جويل الصباح عند عدير وحده على بعد أميال أخرى
 عن الطريق إلى كراغستون، ولم يعد إلى لانغثويت رغم أنه
 أحس بأن الاحتياجات الطبيعية لجسمه تستدعي ذلك، ورغم
 أنه شعر بالجوع منذ الواحدة ظهراً اكتفى بسيكار وبعلية من
 الشراب كان يحتفظ بها للطوارئ.
 وعند الثانية إلا ربعا نهض، ونفض التراب عن ثيابه،
 واتجه إلى السيارة. كانت السماء غائمة، والمتوت شفتاه
 تعبيرا عن الضيق من الطقس، وقفل راجعاً تجاه لانغثويت.
 وعندما بلغ قمة الطريق حيث كان بمقدوره أن يرى مبنى
 الأولدهول من عل على هيئة كتلة رهادية منبطحة. كان المطر
 ينزل بغزارة.

وتوقف بسيارته إلى جانب الحافلة الصغيرة الرثة، وبدلاً من
 أن يترجل ويتجه إلى الباب أخذ يستخدم يوق السيارة ليفلن
 وصوله، كان هذا السلوك يدل على شيء من القنطرة والتكبر،
 وكان على وعي بذلك، ومع هذا كان في قرارة نفسه يعلم أن
 راشيل لم تكن لتزعج أو تشعر بالتهديد من سلوك تعنبره
 محاولة غير ناضجة، قصد بها إثارتها.
 تنهد جويل ثم دفع باب السيارة، وخرج منها، وعندما
 ابتلت كتفاه بقطرات المطر زاد عبوساً وتقطيباً، وهرع تجاه
 الجزء المسقوف من مدخل المبنى، فافتح الباب ثل وصوله،
 وظهرت راشيل، وأخذت تصطع شيئاً من الدهشة لرؤيته عند
 المدخل ولكنه كان حقنهما بأنها كانت تنتظر نزوله من السيارة
 قبل أن تظهر على الباب.
 واحتسب بالجزء المسقوف بينما كانت هي تغلق الباب
 خلفها، وعلق بشيء من البرود:
 "ذكية! ولكن بشيء من الطفولة."
 ورفعت بصرها إليه، وهي تقول:
 "عم تتحدث؟"
 وكاد جويل أن ينتهرها بقسوة، لكنه لاذ بالصمت، وأكتفى
 بأن هز رأسه، كانت لا تزال ترتدي القميص والسروال اللذين
 كانت تلبسهما في الصباح، واستبدلت بالمربلة سترة من
 الموبلين مخلاة بغراء، وأحس للحظة قصيرة بمشاعر الحنو
 والشفقة تجاهها، وسألها:
 "هل تنتظرين حتى أحضر السيارة إلى المدخل؟"
 وهزت رأسها، وهي تقول:
 "تعودت على السير تحت المطر، هل نذهب؟"
 وبادرت فخطت خارج المدخل المسقوف، وصار يخطو أمامها
 بخطوات واسعة ليفتح باب السيارة، وصعدت إلى المقعد
 الأمامي دون أن تنظر إليه، وأغلق الباب خلفها بشيء من
 العنف الظاهر ثم دار حول مقدمة السيارة ليتبعها.
 وعندما استقر على مقعده، بدأ يتفحص كتفي ستريته،
 ووجد أنهما ابتلتا، فخلعها، وألقى بها بشيء من الإهمال على
 المقعد الخلفي، واقترح عليها أن تفعل بالمثل، ولكنها رفضت
 بصمت، وهز كتفيه وهو يدير المحرك، وتوقف عند البوابة
 عندما قالت:

"إلى أين تأخذني؟ علي أن أعود إلى هنا خلال ساعة".

ونظر إليها في غضب، وهو يعلق:
"ساعة؟"

"نعم، ساعة. سارة لا تنام أكثر من ذلك في فترة ما بعد الظهر. ولا بد أن أرجع قبل أن تصحو من النوم".

لم يعلق جويل بشيء، واكتفى بأن أخذ يقود مسرعا على الطريق تجاه المكان الذي أنضى فيه صباح ذلك اليوم، فقد كان موقعا يسمح للسيارة بالانتظار بعيدا عن الطريق، لأنه في بقعة منعزلة وهذه ميزة كبيرة... ولم تنطق راشيل بكلمة طوال الطريق، وخطر لجويل أنها ربما كانت تحاول أن تصوغ قصة تبرر موقفها عندما تتحدث إليه، وأخذ يقاوم رغبة تتمثل في نفسه بين الحين والحين ليتوقف على الطريق طالبا إليها أن تكف عن اصطناع ذلك الدور.

"حسنا ما القصة الكاملة إذن؟"

وتشابكت راحتا راشيل، ورددت:

"فاذا تقصدا؟"

"أنت تعرفين ما أقصده! أريد أن أعرف كيف بلغت الصلة بينك وبين أبي الحد الذي جعله يطلبك للزواج منه؟"

ورفعت راشيل كتفَيْها النحيلتين، وقالت:

"مضى على معرفتي به سنوات طويلة، وأنت تعرف ذلك يا جويل".

أخذ جويل يلوك طرف السيكار بقلق، ثم قال:

"لأنني قدمنك إليه؟ لكن هذا لا يكفي للتفسير، أستطيع أن أعد على أصابع اليد الواحدة عدد المرات التي قابلت فيها أبي من خلالي، وأنت تعرفين ذلك".

"أعرف... أعرف أنك... لماذا تستعرب أن يطلب أبوك الزواج مني؟ كان دائما يستلطفني".

وبدا فم جويل يعاني من الوهن، وخرجت منه عبارة:

"راشيل! أرجوك بالله!"

ووضعت يدها على أذنيها حتى لا تسمع، ونطقت:

"أوه، يا جويل، أرجوك أن تكف! لم جئت إلى هنا؟ ما الذي تريده؟ كل ما بيننا انتهى منذ زمن بعيد، وليس من حَقك أن تجاسيني".

وحقق جويل فيها بغضب، وقال:

"ألم يحدث أنني؟ يا إلهي! إنك لا تشعرين! هل كنت تظنين حقا أن بإمكانك أن توافقني على الزواج من أبي دون أن تتيري رد فعل مني؟"

"وما علاقة هذا بك؟"

"أنت تريد أن تكوني زوجة أبي، اليس كذلك؟ إنك تحبين أبي الآن كما قلت يوما ما إنك تحبينني! اظهري على حقيقتك يا راشيل! أهذه محاولة خبيثة للانتقام؟"

وردت بانفعال:

"لنفرض أن هذا صحيح، ما الذي تستطيع أن تفعله؟"

وساد الصمت لحظات قليلة، وأخذ جويل يحمق بعبوس من نوافذ السيارة إلى المطر المنهمر، لم يكن ليصدق ما حدث؟ لم تكن تلك أخلاق راشيل، ولكن سنوات طويلة مضت منذ انفصلا، وتزوجت هي بعد ذلك وأنجبت طفلا، وتهد، ثم قال في هدوء:

"أخبريني، لماذا احتجيت عني هكذا، ما الذي فعلته في حقك لأثير فيك هذه الرغبة في الهرب مني؟"

وأخذت راشيل نفسا عميقا، وقالت:

"أنت! تسألني هذا السؤال؟ ما فائدة الكلام الآن، يا جويل؟ دفن الماضي والذي يعنيني الآن هو المستقبل، وتصلب فك جويل، وقال:

"على حساب أي إنسان آخر؟"

"هذا غير صحيح، أنت لا تفهم شيئا عن هذا".

"إذن، أخبريني".

أخذت راشيل تطوي ثنيات سترتها، وقالت:

"سوف أتزوج أباك، يا جويل، ولن يغير ما تقوله أنت شيئا من هذا".

وأطبقت قبضتا جويل، وهو يتمتم بقسوة:

"لا بد أنك يائسة تماما يا راشيل".

"تماما".

والتفت ينظر إليها ولاحظ الخطوط الغائرة في وجنتيها وغينيتها اللتين تفتقدان اللعان والبريق، لم يكن ذلك الوجه وجه عروس تستعد لعرسها، وسألها:

"هل ذلك بسبب النقور؟ لو كانت المسألة مسألة نقود فأنني على استعداد لأن أقدم ما تحتاجينه منها".

والثوب شفتاها بشيء من الازدراء، وقالت:
 "لو كنت رجلا لطرحتك أرضا على هذه القحة في حديثك أنا
 لست المرأة التي تتزوج بأي رجل من أجل النقود. ان لك أن
 ترهو بنفسك يا جويل، انك مفرق في الزيف."
 بلغت الاستثارة من جويل مبلغها، وأمسك بمعصمها بين
 أصابعه وأحس بعظامها الهشة ترتعد في يده. لكنه لم
 يكن ليتصرف بطريقة وحشية، كان له عقل، وكان يريد أن
 يستخدم ذكائه، وأحس بالحاجة إلى أن يراها تتلوى أمامه
 وضغط على معصمها فأجفلت ولكنها لم تصرخ، واقترب منها
 بطريقة جعلته يئنشق رائحتها. وأدرك الاستثارة التي أوشكت
 أن تتقد بداخله وأحس بشيء من الاشعزاز من نفسه،
 قابضه في مقعده، وعاد يسألها في عناد:
 "أريد أن أعرف شيئا عن زوجك، وعن الطفل، هل مات
 غيلمور؟ يقول أبي إنك أرملة."
 كانت في ذلك الوقت قد أخذت تدلك معصمها، وأجابت:
 "أنا أرملة بالفعل."
 "وماذا كان اسم زوجك؟"
 واعتراها شيء من الدهشة، وقالت:
 "اسمه؟ انك تعرف اسمه؟"
 ونظر إليها نظرة تتسم بالبرود، وألح:
 "غيلمور؟ هل هذا هو الاسم الذي كنت تناديه به؟ غيلمور؟"
 وأحمر وجهها، وقالت:
 "أوه! بالطبع لا! اسمه الاول كان ألن."
 "ألن غيلمور؟ ماذا كان يعمل؟"
 وبدأ على راشيل شيء من الدخيرة وسألت:
 "هل هذا شيء مهم؟"
 "أعتقد ذلك."
 وتنهدت، وقالت:
 "كان مهندسا. كان يعمل لدى الدولة."
 وبدأ كما لو كان قد استساغ العبارة الأخيرة، وقال:
 "أفهم، ولكن كم دام الزواج؟"
 "سنتين أو ثلاث سنوات؟ ولكن ماذا يهم ذلك الآن؟"
 لم يكن جويل يدري سر فضوله، وربما كان وراء ذلك رغبة
 سادية جعلته يستشعر اللذة في إجبارها على الحديث

عن موضوع يجلب لها الألم، وقال يسبر مشاعرها:
 "لا بد أنك عانيت كثيرا في تحمل مسؤولية تربية الطفلة
 وحدك، هل هذا هو الذي جعلك تقبلين العمل كمديرة منزل
 لدى الكولونيل فرنشاو؟ ألهذا تتزوجين أبي؟ من أجل سارة؟"
 وزمجرت بعنف:
 "لا تتجرا وتذكر اسمها! إنك لا تعرفها، ولا تعرفني أنا
 أيضا، لماذا لا تنصرف إلى حال سبيلك، وتتركتني وحدي؟"
 "أريد أن أعرف؟"
 "إن الأمر لا يعنيك."
 "عليك اللعنة! هل تظنين أن الأمر لا يعنيني؟ من حقني أن
 أعرف؟"
 ازداد صوتها عندئذ حدة، وهي تقول:
 "حقك؟ يا جويل، ليست لك حقوق على الإطلاق، فقدت هذه
 الحقوق عندما... عندما..."
 وتضاءل صوتها، واستدارت بعيدا عنه، وصارت تحقق في
 راحتها، وأضافت:
 "هل تعود بي، من فضلك؟"
 وانتصب جويل في مقعده، وهو يحدق في منظرها الجانبي.
 وأحس بأنه قريبا جدا من الحقيقة، كان للحظة واحدة على
 وشك أن يعرفها، كاملة، وأحس كأنه يعرفها في قرارة نفسه
 وكان يبتهج بها، ولكن راشيل تراجعت ثانية وشعر بالاحباط،
 وتمنى لو كانت راشيل رجلا... إذا! لأجبره بالقوة على أن
 يبوح بها بداخله، ولكن راشيل امرأة بكل ما تعنيه الكلمة من
 معنى، وعليه أن يجد سبيلا ليطلق العواطف المكبوتة التي تشد
 لسانها عن الكلام، لكن كيف يتوصل إلى ذلك؟
 كانت راشيل قد ملكت زمام نفسها ثانية، ونظرت إلى
 وجهه نظرة خاطفة وقالت للمرة الثانية:
 "هل تعود بي؟"
 وأجاب بشيء من التوتر:
 "ليس بعد."
 وبدأ يستعرض في ذهنه كل ما قيل. ويحاول أن يجد مما
 قيل مفتاحا يفتح له الباب المغلق، ما الألفاظ التي جعلتها
 تنور بتلك الطريقة؟ عم كانا يتحدثان؟ عن زوجها؟ عن
 غيلمور؟ نعم و... الطفلة. حاول أن يتذكر ما قاله

عن الطفلة، لأنه ذكر أنها ستزوج من أبيه من أجل الطفلة،
تفجر غضبها؟ إذن فليحاول مرة أخرى، وقال وهو يبحث عن
سيكار آخر:

"ومتى يتم الزواج؟"

وتنهدت راشيل بشيء من القلق، وقالت:

"لا أعرف الموعد بالضبط، ولكن خلال أسابيع قليلة."

"وحتى ذلك الحين ستظلين هنا؟"

"أنا... ربما..."

ونسيطر جويل على غضبه، وقال:

"وسارة... هل تعيش معك عندما تتزوجين؟"

وحذقت فيه بغضب، وقالت:

"بالطبع، وهل يمكن أن تعيش في أي مكان آخر؟ أوه، كف

عن هذا، يا جويل! أريد أن أعود... طال بي الوقت، وقد

تستيقظ سارة."

ورد في شيء من البرود:

"أنا واثق أن هانسون سيكون سعيدا للغاية إذا ما وجد الفرصة

ليعيش بها بعض الوقت، ومع ذلك فهي لم تعد رضيعة، كم

عمرها الآن؟ ثلاث سنوات؟ أربع؟ لا شك أنها تقدر أن أمها

يمكن أن تتغيب أحيانا؟"

صارت راشيل تنشق أنفاسها بطريقة تدل على القلق،

وقالت:

"هل تنوي الآن أن تعود بي؟"

وكررتها بشيء من الارتجاف:

"وإذا قلت لا؟"

"يمكنني أن أعود سيرا على الأقدام، لست خائفة القوى."

واتجهت يدها إلى قبض الباب، ولكنه كان أسبق منها،

ومد يده ليجنعه من فتحه، ورغم أنها انكمشت إلى الوراء

لتجنب لمسه، وضع أنه كان يتعمد أن يلامسها، وسأل

بشيء من السخرية:

"ما الحكاية يا راشيل؟ إذا كنت ستصبحين زوجة أبي، فما

الذي يمنع أن يآلف أحدا الآخر بطريقة أفضل، ولعلني ما زلت

أذكر جيدا، كيف كنت فيما مضى تحبين أن ألمسك كثيرا."

وصارعت كي تحرر نفسها، أنفاسها تتدافع بقوة، أما هو

فرغم نداء العقل الذي كان يحذره من الطريقة التي

تداعى

من بصرف بها، فإن شيئا آخر بداخله أقوى من عاطفة
المرءات كان يدفعه إلى أن يستمر: كان قربها منه يثيره
حتى كبر، لم يكن هناك مكان للحب في تفكيره. ولكن
رغم ذلك كانت تظل برأسها القبيح، وبالرغم من جسمها
الضئيل، وشعرها البادي بمظهره السيء وملايسها التي لم
كن تبار الجديدي في عالم الأزياء كانت راشيل لا تزال امرأة
جالت فعال، ولها دائما القدرة على أن تثير الاضطراب في
الجميع، بدرجة كان يشعر أراءها بالحنق ذات يوم.

وعرخت فيه:

"بعد عني، كان ينبغي أن أعرف أن النهاية ستكون هكذا،

هذا هو كل ما تصلح له يا جويل، أليس كذلك؟"

"أنا تعين؟ عليك اللعنة؟"

وقالت، وهي تكاد تخرق:

"بني أقول الحقيقة، انك تريد كل شيء في مقابل لا شيء،

ليس كذلك؟ الجسد دون العقل، اللذة دون الألم؟"

"عم يتحدثين؟"

كان يحسك بكتفها الآن، وبينما كان عقله يوسوس إليه

أنه حصل ما يريد، فالمنطق الهادي كان يحذره من الإجابة

التي كان ينتظرها، وصار يهزها بعنف، وانحل شعرها من

العقدة التي كانت تربطه، وتهدل كستائر الحرير حول

كتفها، لم تكن من قبل قد بدت في مثل تلك الصورة...

وتجتم في صوت أجش:

"راشيل..."

وقالت، وهي تلهث:

"ابتعد عني أيها البهيمي! أياك أن تجرؤ على لمسي!"

وتسمرت أصابعه على كتفها، وهو يقول:

"راشيل! راشيل! لا تخشي مني! يا إلهي... لقد أحبتك من

قبل، فكيف أوديك؟"

وخلصت نفسها منه، وهي تقول:

"هل أصدق أنك لا تفعل ذلك؟ أنتظن أنني أصدقك؟"

والج عليها بصوت أكثر حدة:

"لم بحق الله؟ ما الذي فعلته بك؟ قول لي ان كان شيئا من

ذلك قد حدث؟ لقد هجرتني؟ أنت التي هربت دون أن تخبرني

أحدا بالمكان الذي ذهبت إليه! يا إلهي! لقد كدت أجن."

وتجعدت شفتا راشيل، وقالت:

"أنك لا تفهم يا جويل! حتى اللحظة الحاضرة ليس لديك أي فكرة عما أتكلم عنه. ان سارة ليست ابنة الثانية أو الثالثة من العمر! عمرها الآن خمس سنوات. هل تفهم ما يعنيه ذلك؟"

وارتخت يدا جويل على كتفيها، وقطب حاجبيه، وظهرت خطوط غائرة على جبهته، وبدأ شعور غريب بالألم يصيب معدته، ولم يكن يدري أنها تحرق فيه، وتخبر ردود فعله، وتتلذذ بأحاساسه المرهق بالفرح والتكث وعندئذ وجد في الظاهر بالجهل عذرا منطقيا، وألح بشدة:

"ماذا تقولين؟"

ولكن نشوة راشيل بالنصر لم تدم طويلا، وحركت كتفيها يائسة، وهي تتمتم في غير وضوح:

"ما كان ينبغي لي أن أخبرك..."

"ما كان لك أن تخبريني بماذا؟ هل تقصدين أن تقولي... ان هذه الطفلة... سارة... هي ابنتي؟"

ونظرت إليه راشيل، وقد أحست بشيء من الوهن، وقالت:

"وهل تظن أنها تنسب إلى شخص آخر؟"

وحرك رأسه في ارتباك، وهو يقول:

"غيلمور! زوجك! "

"لم يكن لي أي زوج، يا جويل! كنت أعمل لدى الكولونيل فرنشاو طيلة السنوات الخمس الأخيرة..."

امتدت يد جويل في غضب إلى مفتاح السيارة ليدير المحرك، وكاد خلال ذلك أن يدفع براشيل بعيدا عنه، وارتعد وجهها الشاحب، وقالت:

"ماذا تفعل؟..."

وأجاب في أنفاس مضطربة:

"ما الذي تظنين أنني فاعله؟ سوف أعود بك. أريد أن أرى ابنتي، إن كانت ابنتي! "

وحاولت راشيل أن توقف يده، وجذبت ذراعه بقوة لمدة لحظة، وهي تقول:

"أوه لا! لا يمكن أن تفعل ذلك! "

"لن تستطيعي أن تمنعيني..."

"سأمنعك بالتأكيد، سأعمل كل ما في وسعي لأمنعك..."

واضطرب إزاء ذلك أن يتوقف لحظة، ثم التفت إليها بنظرة فيها شيء من الاختقار وسأل:

"لم؟ لم لا أرى ابنتي؟ هل تخشين أن أراها؟ هل تخشين أن أكشف كذبك؟"

"إنك ليس كذبا، دعني أشرح يا جويل من فضلك، دعني أشرح..."

"ما الذي يمكنك أن تفسريه؟"

وهزت راشيل رأسها، وقالت:

"ماذا تريد أن تروا؟ إنك لا تحب الاطفال، يا جويل! كنت دائما تردد ذلك..."

ولكن، يبدو أنه أصبح لي طفلة؟"

وخاطبته راشيل بلهجة متشددة:

"وهل تعتقد أن ذلك يؤهلك لدعني أن سارة ابنتك؟ يا إلهي..."

ودفع جويل بيديه خلال شعره، لم يكن في طاقته أن يتحمل كل ذلك، ربما كانت خدعة أو مناورة من جانب راشيل لكي تجعله يتلوى، لا بد أنها كذلك. وقال في شيء من التوتر:

"حسنا! انني أعترف، الاطفال لا يلعبون دورا في نمط حياتي، فانا رسام يا راشيل، أنت مربية..."

"الضبط..."

"وهل تعتقدين أن هذا يجيز لك أن تحتفظي بوجود ابنتي في الحياة سرا طوال تلك السنين؟"

أخذت راشيل تتداف بعصبية خصلة من شعرها وقالت في ارتعاش عصبي:

أرجع بذاكرتك إلى الوراء يا جويل. هل بإمكانك أن تتخيل ما فعلت منذ ست سنوات لو أنني جئت إليك آنذاك، وأخبرتكم أنني أنتظر طفلا منك؟"

وتملأل جويل في قلق، فمنذ ست كان لا يزال يشق طريقه. منذ ست سنوات كان الطموح قوة كبيرة بداخله، كان ذلك الطموح مؤثرا، ولكن بشكل مختلف، وفي أية حال... وتتمتم جويل:

"ما كان ينبغي أن يحدث ذلك أبدا... كان ينبغي أن أتأكد أنه لا شيء ينبغي أن يفسد عليك ممتعك! يا إلهي! هل تسمع يا جويل؟ إنك أنا! وإنك جدير بالازدراء! أنك كذلك! وسوف تظل دائما كذلك! هل لي أن أذكرك بأنني لم أعرف ما

كنت تنوي أن تفعله معي؟ لقد وثقت فيك، يا جويل! وكنت أظن أنك أحببتني بحق!

واغتم وجه جويل، وحاول أن ينفي عن نفسه التهمة، وهو يقول:

"هذا ليس صحيحاً، يا راشيل! لقد أحببتك بحق! لقد أحببتك! إن الذي وقع... وقع... لأن كلينا أراد ذلك!"

ووضعت راشيل راحتي يديها على أذنيها مرة ثانية، وهي تقول:

"لا! نعم! كنت أريد أن أشاركك حياتي يا راشيل! أشاركك حياتك؟ أعيش معك! أيها الدنيء!"

"ربما كنت أقصد فعلاً في البداية." وقاطعته:

"كنت ستجد شخصاً آخر! لا! عليك اللعنة! كنت سأتزوجك!"

"يا لك من شهم!" "لم يكن الزواج في خطتي، يا راشيل... عند ذلك الوقت!"

"ولم يكن الأطفال في خطتك في أي وقت، ومد جويل إحدى يديه إلى مؤخرة عنقه، كان يشعر

بالاضطراب، بل لم يكن قادراً على التفكير، ودمدم قائلاً:

"المواقف تغير الأحوال." "ماذا يعني ذلك؟"

"يعني أنه إذا... ما زلت أقول إذا... كانت سارة ابنتي... فسوف يكون علي أن أغير خططي للمستقبل."

واتسفت حدقتا عينيها في شيء من الشك، وتساءلت:

"عن أي شيء تتحدث؟" وأجاب:

"يشعني بالطبع أن نتزوج." وكادت راشيل تفهمه هي وجهه، وهي تقول:

"نتزوج! نتزوج! ما كنت لا أتزوجك ولو كنت آخر رجل على الأرض! يا إلهي! ما أيسر أن يصبح الرجل مغروراً! هل تظن بأمانة أنني يمكن أن أتزوجك الآن؟"

وأمسك جويل بساعديها بقبضة تنم عن الشعور بالاثم، وهو يقول بغضب شديد:

"ليس من حقك أن تتكلمي كثيراً في هذا الموضوع." "لا بحق لي ذلك؟ وماذا يكون رأي أبيك؟"

كان جويل قد نسي للحظة السبب الذي جاء من أجله إلى هنا - وأجاب:

"يمني ما يقول أبي، إذا كانت الطفلة لي، فهي لي." "لها ليست سلعة تملكها يا جويل، إنها إنسان، إنها إنسان

عالم للغاية، ولها حقوق." "ماذا تعنين؟"

"عني أن سارة ابنتي، ربما تكون قد قمت بدور ثانوي في حياتي بها، ولكنك لا تستطيع أن تثبت ذلك."

"أعدو قريبة الشبه بي؟" "وانتوت شفتا راشيل، وقالت:

"الحق أنها تكاد تكون نسخة منك!" واتصفت عضلات جمجمة جويل بطريقة غريبة للغاية، وأحس

بأنه يريد - يتهور - أن يرى سارة وقال:

"لن سيكون علي أن أرفع دعوى!" وهرت راشيل رأسها وقالت:

"سوف أنكرها، وسيكون بإمكانني أن أقول أنها ابنة جيمس." كاد جويل أن يضربها عند ذلك، وأحس برغبة كبيرة في أن

يفتح بقوة باب السيارة وأن يترجل منها إلى الخارج تحت

وابل المطر لينشق أنفاساً من الهواء البارد الرطب في تلك الأرض البور، هل تجرؤ على توبيخه بتلك الطريقة الساخرة

بالدعاء بأن الطفلة لأبيه؟ وبقي على تلك الحال القلقة بضع دقائق قبل أن يجرؤ على العودة إلى السيارة ليجلس إلى

جوارها مرة ثانية، كان عندئذ قد عاود هدوءه بدرجة واضحة، ولكنه لا يزال عنيداً، وقال في شيء من الثبات:

"أريد أن أرى ابنتي... سوف أفعل ذلك بطريقة أو أخرى... لن تستطيعي أن تمنعيني من ذلك مهما قلت أو فعلت يا راشيل."

وظلت راشيل صامتة لبضع دقائق، ثم قالت في هدوء:

"وما الخير في ذلك، يا جويل؟" وأغلق جويل عينيها في ألم مبرح من الانفعالات التي كادت تخرقه. مرت الدقائق الخمس عشرة الأخيرة وهو يعاني أقصى أنواع العذاب النفسي ورأسه تكاد تنصدع من شدة

٣ - أبي ... أبي ماذا فعلت؟

تحدثت راشيل السيارة، بعدما تغيبت أكثر من ساعة، ونظر لها أن سارة ربما استيقظت بالفعل وأنها بدأت سائرها، مما جعلها تهزول نحو الباب لتتطلع في نفسها مشاعر

وتسمعها جويل يخطو بخطى واسعة، مرتدياً ستارته الجلدية

الزرقاء، بوجه شارد قائم، وهو يقول:

"نظري، انني أت معك."

وتوقفت راشيل، معترضة:

"هذا منزل الكولونيل، يا جويل، لا أستطيع أن أدعوك بلا إذن

منه."

ونظر إليها جويل ببرود، وقال:

"أوه... لا... هل قلت ذلك لأبي أيضاً؟"

وتنهدت راشيل، وقالت:

"أبوك... يعرف الكولونيل فرشتاو."

"أكاد أفهم شريك في التأمرا"

وكانت أعصاب راشيل قد أصبحت مشدودة وقالت:

"لا تكن سخيفاً، يا جويل! سأذهب وأخبر الكولونيل! سوف

استأذنه."

وسبقها جويل إلى المدخل وهو يقول:

"لا تتسجلي، يا لك! لن تجعليني أنتظر أكثر من ذلك!"

ونظرت إليه راشيل بغضب، وهي تحفازة، ثم توقفت في

الردهة الداخلية، لم تكن تدرك ما تفعل، كان الميت يبدو

هادئاً، وكانت راشيل تعرف أن الكولونيل يهجم للراحة في

فترة ما بعد الظهور، وأصبحت المستكة كيف تهرؤ على

اصطحاب جويل بدون أن تستأذن الكولونيل أولاً؟ وقالت:

"هيا بنا..."

كان جويل نافذ الصبر... خلعت راشيل ستارته وبدأت

تصعد الدرج إلى سكنها في الطابق الأول، خبيثاً الوجهة

الكرامية؟ ماذا تريد هذه المرأة أن تفعل به؟ وتفتنم يخذتها:

"أنت امرأة قاسية... ماذا غيرك؟"

وأجابته ببرود:

"أعتقد أنك تعرف الإجابة لهذا السؤال... والآن إذا كان من

واجبك أن تعود بي... فهل تعود بي الآن؟"

الى باب في نهاية الردهة، ودخلت الى غرفة الجلوس، وكانت هناك أبواب أربعة تنفتح عليها، أحدهما يؤدي الى غرفة نوم راشيل والثاني الى غرفة سارة والثالث يؤدي الى مطبخ صغير والباب الأخير يؤدي الى الحمام ..

ووقف جويل في المدخل وقال بصوت أجش: "أين هي؟"

وأجابت راشيل وهي تخشى اللحظة التي يرى فيها الطفلة لأول مرة:

"ربما لا تزال نائمة."

ورغم أن راشيل كانت لا تزال تحاول أن تؤجل ما لم يكن منه بد، انفتح باب غرفة سارة، ووقفت سارة بنفسها في فتحة الباب تنظر بعينين طارفتين وشعرها الذي يشبه الى حد كبير شعر جويل يندلى على كتفيها النحيلتين، أما عيناها الغائمتان بشكل غريب، ووجنتاها الشاحبتان فإن الشبه بينها وبين ملامح أسرة كنفدوم لم يكن ليخطئه أحد.

وصاحت الصغيرة:

"ما ما؟ ما ما؟ أنت أيقظتني."

تملكت راشيل زمام نفسها، وهي لا تجرؤ على النظر الى جويل، الذي كان وجهه العابس صورة طبق الاصل عن وجه سارة، وقالت:

"أسف يا عزيزتي، حضر شخص لزيارتك."

واضطربت رموش سارة الطويلة، وقالت:

"من؟"

ولم تظهر على وجهها ابتسامة الترحيب لتلين من ملامحها العابسة، وانفعل جويل عندئذ:

"أنتي... أنت... إنك... أنا... صديق لك."

ونظرت سارة اليه بشيء من الشك، وتمتمت:

"ليس لي أصدقاء..."

وركع جويل أمامها، وهو يقول:

"أنا متأكد أن لك أصدقاء... ما رأيك في الكولونيل؟ وما رأيك في هانسون؟"

وأجابت سارة:

"لا أحب أندرو! والكولونيل كهل جدا!"

واستفسر جويل:

"لماذا؟"

وأجابت راشيل بشيء من التردد:

"أندرو هانسون..."

وعلى جويل:

"لا تطع لا يوجد شخص آخر تلعبين معه؟"

وأجابت سارة:

"أنا... أعب أنني مقعدة، ألا ترى؟"

"أنا مقصدين؟ ما الذي تخفينه عني؟"

وعلمت راشيل قائلة:

"سارة تعاني من فقر دم بسيط، هذا كل شيء، إنها تحت علاج."

وبدا أن جويل لم يقتنع بما سمع، واستمر يسأل:

"ما نوع مرض الدم الذي تشكو منه؟"

"شيء خطيرا..."

ونظرت راشيل الى سارة نظرة ثاقبة، وأكملت:

"رجوك يا جويل! ليس الآن!"

وظل جويل يلح في السؤال:

"ومن الذي أسماك مقعدة، يا سارة؟"

وبدت سارة وقد اعتراها شيء من القلق، واتجهت الى أمها

سأل:

"أماما؟"

وأجابت راشيل بسرعة:

"اعتقد أنه الكولونيل..."

وعلمت سارة:

"سمعتهم في المستشفى يتحدثون... رجل قال: أين هي؟"

وأجابت سارة: "من؟ وقال الرجل: المقعدة الصغيرة..."

وصاحت راشيل:

"أوه! سارة! ربما لم يكتشفوا يتحدثون عنك..."

وألح جويل في السؤال مرة أخرى:

"أي مستشفى؟ يا سارة؟"

وأجابت:

"المستشفى الذي في هيوستن..."

وقاطعتها أمها:

"كفني، يا سارة!"

وانتهجت الى جويل:
 "الا ترى يا جويل أنك قلت ما فيه الكفاية."
 ودمدم جويل مقطعا:
 "أريد أن أعرف المزيد."
 "أرجوك، يا جويل، لا تثير المشكلات."
 كانت سارة قد أدركت أن الذين يتحدثان ليسا متعاطفين
 فقلبت وصارت تنسأل في هدوء:
 "ما الحكاية يا ماما؟ لماذا تنظر الى ماما هكذا؟ لماذا جئت
 هنا؟ لست صديقا لي وأنا لا أحسن نجواك بأي حب."
 واضطربت راشيل أن توقف سارة وقالت:
 "سارة، هذا لا يليق، لا بد أن تعتذري السيد كنفدوم."
 وأجابته سارة:

"لا أحسن بأنني ينبغي أن أفعل ذلك!"
 وأزاحت سارة يد أمها ثم سارت عبر الفرفة الى حيث كانت
 بعض الدمي. كان جويل يرقب الطفلة عن كثب، ووجدت
 راشيل نفسها ترقب جويل، ترى ماذا كان زايف فيها، تلك
 الطفلة التي لم يكن يعرف بوجودها حتى اليوم؟ هل خاب أمه
 عندما لم يجدها ذات بشرة بيضاء قرنفلية ريانة، يعيدني
 تشبهان عيني الدمية، ويشعر متجمدا؟ ومع ذلك كان لدى سارة
 الشيء الكثير، أخلاصها وخبها وسرعة خاطرها، وأكثر من
 ذلك كله كثر الحب الذي كان حتى الآن يلجج الى راشيل.
 وتركبت راشيل العنان لخواطرها تتخيل كيف يمكن أن يكون
 رد فعل سارة لو علمت أن جويل كنفدوم هو الأب الذي كانت
 تخيل أنه مات.

وبعاد الصمت لدقائق عديدة، ثم تحدث جويل:
 "هل فحصها أحد الاختصاصيين؟"
 "فحصها كثيرون، إنها ليست الأولى أو الأخيرة، سوف يكون
 هناك دائما أطفال مثلها."

ودمدم جويل:
 "ولكن الآخرين ليسوا أطفالا."
 وردت راشيل بصوت أجش:
 "ولا سارة طفلك، أرجو أن لا تنسى ذلك!"
 "راشيل، إن سارة ابنتي كما هي ابنتك، أما عن الدواغ التي
 تجعلك تحفظهم، ينقصينها سراً فهذا شيء يخصك،

ولكنني أرى أن هذه الدواغ لن تصمد كثيرا لأي تحقيق
 يجري أمام القضاء."
 وهنا التفتت اليه راشيل، تقول:
 "القضاء؟ أصبحت سارة تعني لك الشيء الكثير؟"
 وسأل في عبوس:

"عماذا كان ينتظر مني؟ أنا لست قاري، أفكار، كيف بإمكانني
 أن أعرف أنك كنت هاهنا؟"
 "لم تكن لتتقدم لا بهذا ولا بذلك."
 واعتم وجه جويل عندئذ، وقال:
 "راشيل، لو أنني كنت أعلم..."
 "نعم، نعم، لو علمت أنني حامل، ماذا كنت تقترح، يا شري؟
 أنني أم الإجهاض؟"

كان جويل يشرع في الخطو تجاهها عندما انفتح باب غرفة
 الخسوس ووقف أندرو هانسون على عتبة الباب يقول:
 "راشيل، فليفت أنني سمعت أصواتا، أوه!"
 وكان قد ألقى جويل، واضطربت راشيل ابتسامة باهتة،
 وحاولت أن تظلمه بطريقة كان فيها بعض الحرج وقالت:
 "السيد كنفدوم على وشك الرحيل، كان يريد أن يرى سارة."
 كانت عينا راشيل تنوسلان اليه ليرد بالموافقة، ولكنه لم
 يكن على استعداد لذلك التوسل، كان وجهه هانسون يعكس
 فسولته، ولكنه استطاع أن يخفي ذلك برحولة، وهو يقول:
 "فكرت أن من واجبي إعلامك أن الكولونيل استيقظ وينتظر
 الثاني."

وأومأت راشيل برأسها، وقالت:
 "شكرا."

وأجبرت نفسها على النظر نحو جويل، وقالت:
 "عليك أن تخرج الآن، يا جويل!"
 ونظر جويل إليها، ثم نظر الى هانسون، واستدار ببصره
 الى سارة وقال:
 "أذهبي أنت الى عملك... وقومي بواجباتك! وسأرعى أنا
 سارة."

وهزت سارة عبر الفرفة لتخفي وجهها بين قدمي راشيل،
 وهي تقول:
 "لا أريد أن أبقي معه، أريد أن أذهب معك."

وتجهم هانسون، وقال:

"لا تجزعي يا سارة سوف يتصرف السيد كنفدوم طبعاً."

ورد عليه جويل ببرود:

"من الأفضل أن تعني بثؤونك الخاصة، يا هانسون."

"أوه! أرجوك يا جويل!"

وحاولت راشيل أن تثبيل اليه، لكن جويل تجاهلها، واستمر

يقول:

"هل تتركنا يا هانسون؟ أم ينبغي أن تطرد بالقوة."

كان جويل يخاطبه بشيء من الالهانة، والتفت المرءة،

وانصرف وهو يردد أنه لا بد للكولونيل أن يعرف بما حدث وأن

يقول فيه قولته، وحدقت راشيل تجاهه، ووقع بصرها على

جسم سارة الصغير، وقالت:

"أوه، يا جويل! انصرف قبل أن ترتكب حماقة أخرى!"

ورد عليها بوحشية:

"حان الوقت لتدركي أنه لا يمكنك أن تدفني رأسك في الرمال

بعد ذلك، هل تعتقدين أنني سأقبل إبقاء الطفلة هنا؟ ثم أنك

لم تخبريني بعد لماذا تتزوجين أبي؟ أنني أصر على أن أعرف

وهي سبيل ذلك لا تعينني مسألة اللياقة."

وأغلقت راشيل عينيها لحظة، وفتحتها ثانية، ثم قالت:

"ليس لدي وقت لعناقشة ذلك معك، يا جويل!"

"أذن ماذا أفعل؟ هل أبقي في القرية حتى تجدي الوقت؟"

"لا! إذا كان لا بد لك أن تعلم، فسوف أكون في لندن الأسبوع

المقبل. لقد وجد أبوك سكناً خاصاً لي، لأقيم فيه حتى

تتزوج. وبعد ذلك - على ما أظن - سوف نعيش في الخارج."

وصاح جويل في ذهشة:

"في الخارج؟ أين؟"

"أظن أن... لأبيك بيتاً... في إحدى الجزر اليونانية؟"

"نعم، لباركوس، وماذا سيكون حال المصروف؟"

وهزت راشيل رأسها، وقالت:

"ذلك سيكون أفضل لسارة..."

"أذن فالموضوع له علاقة بسارة! لن أسمع لك بهذا..."

"أنك لا تستطيع أن تمنعني..."

"سوف أحاول..."

ونظرت إليه سارة، وحاولت أن تفيظه بنفسها

بشيء، وهي تقول:

"أحبك..."

ورد عليها يقول:

"إن هذا شيء يؤسف لأنني أحبك... أحبك كثيراً..."

واستدار وترك الغرفة بعدما أوما أيماءة ساخرة من كليهما.

سمعت راشيل وقع قدميه، وهو يهبط الدرج، وسمعت كذلك

صوت الباب الخارجي ينطلق وراءه، وأخيراً سمعت صوت زئير

صوت المرسيدس القوي، ورفعت سارة رأسها عندما سمعا

صوت السيارة يذهب بعيداً وسألت بقلق:

"هل سيكون كل شيء على ما يرام؟"

واختفت راشيل، وعانقها في رقبة:

"طبع يا حبيبتي! والآن علي أن أذهب لأقدم الشاي

للكولونيل، والا وقعت في مشكلة..."

كانت سارة منشغلة تماماً بما سمعته في حديث جويل،

وسألت أمها في شيء من الضيق:

"لماذا يقصد يا ماما؟ هل أبوه هو الذي سيصبح أبي؟ هل

سيعيش معنا كذلك؟"

"يا حبيبتي!"

"ولكنه قال بالفعل أنك ستتزوجين أباه؟ ألم يقل ذلك؟ لقد

سمعته..."

"ساراً! الرجل الذي كان هنا منذ لحظة هو ابن السيد

كنفدوم، ولكن له بيته الخاص، وهو لا يعيش مع أبيه..."

"ولم لا؟"

"عندما يكبر الناس، ويمكنهم الاعتماد على أنفسهم، يعيشون

في بيوتهم الخاصة..."

"ولكنني لن أفعل ذلك!"

"البنات عندما يكبرن عادة يقابلن أشخاصاً ويقعن في الحب،

ثم يتزوجن، ويكون لهن بيوت وأطفال..."

"مثلما فعلت يا أمي؟"

وترددت راشيل، ثم قالت:

"مثلما فعلت..."

"ولكن لماذا مات أبي؟"

وتنهدت راشيل، كان قد مضى وقت طويل منذ أن أثير هذا

الموضوع لآخر مرة. وكانت راشيل بعد المقابلة بينها

وبين جويل غير مهياة للاجابة عن تلك الاسئلة ، وقالت :
"جيبتي ا علي أن أحضر الشاي الكولونيل ، هل تأتين معي أو
تنتظرين هنا ؟"
"سوف آتي معك ، فقط سأحضر شايها ، انها تحب أن تخرج
عليك وأنت تقدمين الشاي ."

كانت هينغا دمية صنعها راشيل من قصاصات القماش منذ
ثلاث سنوات مضت ، وكانت قد أصبحت رثة وقديمة ، ومع ذلك
ما زالت مركز اهتمام سارة ، تهرض على اصطحابها الي كل
مكان ، وأخذت راشيل تنتظر ، وهي تحاول أن تهدي من
قلقلها ، كانت سعيدة بأن لها ما يشغلها ويشتغل تفكيرها ،
وعندها التحقت بذلك العمل كانت تعلم أنها سوف تقابل جويل
ان عاجلا أم آجلا . . . ولكنها لم تكن تتوقع أن تكون المقابلة
على تلك الصورة من الحرارة والألم .

كان الوقت متأخرا عندما وصل جويل بسيارته الي شارع
بيرووتر ، ثم انعطف الي لانكستر ميوز وكان قد توقف في
أحدى مناطق الخدمة على الطريق ، والتهم بعض شطائر اللحم
أذ كان الجوع والتعب أوشكا أن ينالا من قدرته على القيادة ،
وكان يريد أن يحتفظ بنشاطه العقلي عندما يعود الي لندن .

جعل جويل السيارة تنتظر عند قاعدة الدرج السهل الذي
يؤدي الي الباب وكانت غرفة المكتب الخاص بسارة تقع في
الجزء الخلفي من المبنى حيث يمضي معظم وقته ، وكان مع
جويل مفتاح للباب وأدار المزلاج ، فافتتح الباب الي الردهة ،
وكان الدرج المؤدي الي الطابق الرئيسي يقع أمامه مباشرة .

سار جويل بقلق عبر باب دوار وظهر ضوء من تحت عتب
الباب في نهاية الطرف البعيد للممر فخطا تجاهه بخطوات
واسعة ، وفتح باب غرفة مكتب أبيه دون استئذان . وكان
جيمس كنفدوم يجلس الي مكتبه منتظلا بالعمل . وزال غضب
الوالد عندما رأى جويل . . . وسرعان ما رسمت ملامح وجهه
ابتسامة ساخرة كانت تشبه الي حد كبير ابتسامة جويل . . .
لقد كانا متشابهين ، غير أن وجه جيمس كنفدوم يظهر عليه
آثار السن والخبرة ، وشعره ابيض تماما . ونهض يقول :

"جويل أي مفاجأة ، لم أكن أنتظرها . . ."
وأغلق جويل باب المكتب ، وأسند ظهره اليه ، وقال :

في نجومهم :

"لا تنظر الي هكذا ، إنك تعرف لماذا أتيت الي هنا ؟"
ورفع جيمس حاجبه الكثيف ، وهو يقول :

"هنا ؟"

"جويل بطريقة يحاول أن يختبره بها :

"من أدنى شك !"

وقال جيمس :

"حسنا ، ترى ما الذي جعلك تفكر في زيارتي ؟ أعتقد أن هذه
هي الزيارة الثانية خلال الشهور الستة الماضية ."

وأجاب جويل باختصار :

"حياتي مليئة بالعمل ."

"أنا متأكد من ذلك ، وعلى الأقل بسبب التكاليف التي أرسلها
اليك ."

وبدت على وجه جويل بعض السخرية ، وهو يقول :

"آه ، أعترف لك بذلك ، فأنا ابن جيمس كنفدوم صاحب مصرف
كنفدوم ، ولا شك أن ذلك يحقق لي بعض الامتيازات ، ومع
ذلك أجرو علي أن أقرر أن موهبتي هي التي تضمن العيش
الي ، وليس لاسمك في هذا فضل ."

وأضاف جيمس في شيء من الجفاف :

"وومية جدك لأمك !"

"وهذه أيضا علي الرغم من أنني في السنوات الاخيرة أعدت
توظيف معظمها ."

ومد جيمس كنفدوم يده يتخس السيكار ، وهو يقول :

"كم تستغرق من الوقت لتصل الي هدفك من هذه الزيارة . لا
شك أن الموضوع يتعلق براشيل طبعا ؟"

وسأله جويل بلهجة ساخرة :

"وكيف عرفت أن هذا هو الموضوع ؟"

"لم أعمل ذهني ، أخبرني فرنسيس ."

وعلق جويل :

"أكاد أفهم . . . وكيف استطعت ذلك منه ؟"

"الحق أنني كنت أود أن أراك . . . ولما لم أجدك سألت
فرنسيس عن مكانك ."

وعلق جويل بلهجة متشككة :

"وهو أخبرك ؟ بهذه البساطة ؟"

"لا! كان حريصا للغاية! وقال إنه كان يظن أنك ذهبت مع أريكا لمدة يومين".

"تم؟"
"أجابت أريكا على الهاتف".
"وطبعا لم تكف بما قاله فرنسيس، وحاولت أن تتأكد، وماذا قالت لك؟"
"ما أخبرتها أنت به على ما أعتقد... أنك كنت في عمل في نيويوركشير".

وتكلم جويل، وكأنه يلحن:
"أفهم! لست بحاجة الآن أن تذهب إلى أبعد من هذا... بإمكانني أن أخمن ما حدث بعد ذلك، وأستطيع أن أفهم لماذا كنتم عند فرنسيس الأخير؟ وفي أي حال فالفهم أنني رأيت راشيل، ورأيت ابنتي!"
ورفع نوالد حاجبيه من جديد، وقال:
"ابنتك؟!"

"نعم، ابنتي... وإذا كنت تظن أنني سوف أسمع لك بأن تأخذها بعيدا عني، فانك تخطيء خطأ كبيرا!"

ورد الأب بهدوء:
"لا أعتقد أن لك رأيا في الموضوع، ولا تظن أن بإمكانك أن تهددني!"

ووضع جويل راحتي يديه على المكتب، وهو يسأل في تحد:
"تعتقد ألا رأي لي في هذا الموضوع!"
وتنهَّد الأب بقلق، وقال:

"كف عن التصرف بهذه الطريقة الحمقاء، يمكنك أن تتفوق على جسديا... ولكن ماذا يفيد ذلك؟ هل تظن أن راشيل تعجبها مثل هذه الوسائل البدائية، هل يصل بك الأمر إلى ذلك؟"
"دعنا نستبعد اسم راشيل عن الموضوع مؤقتا، هل نتفق على ذلك؟"

"لا أفهم كيف؟! إن لها فيه شأنا كبيرا".
وهنا نهض جيمس كنفدوم - رغم مشيئته - على قدميه، فقد هيء له أن منظر ابنه وهو يطل عليه من عل كان يعني تهديدا لكيانه، وقال:
"نحن متحدثون، يا جويل، حاول أن يكون سلوكك في هذا الإطار..."

جويل بعنف:

"هل من التمدن أن أقبل بأن يتزوج أبي المرأة التي حملت طفلي؟"

"نكن نعرف شيئا عن راشيل وهي تحمل طفلك... يا جويل!"

"لكنك أنت كنت تعرف!"

"في الحقيقة... نعم".

"ماذا؟ ماذا قلت؟"

وتزحزح جيمس كنفدوم بشيء من الضيق، وأجاب:
"سمعت ما قلته يا جويل، كنت أعرف، كنت أعرف أن راشيل كانت تنتظر منك طفلا!"

وهز جويل رأسه، وهو لا يكاد يصدق، بالرغم من كونه سمع الكلمات، سمعها بوضوح تام... ولكنه لم يستطع أن يصدق ما سمع، وتصلبت قبضته على ستره أبيه وقال في شيء من القسوة:

"ماذا تقول؟ كيف استطعت أن تعرف أن راشيل كانت حاملا؟"
"إنني... إنني كنت أعرف..."

حاول أبوه أن يجذب سترته من قبضة جويل وأكمل:
"جاءتني راشيل... وكانت يائسة، وطلبت مني المساعدة... كانت عينا جويل، وهو يسمع ذلك، تلمعان كخيوط من الحديد، وصار يردد:

"هي! طليت مساعذك! وما الذي استطعت أن تفعله من أجلها؟"

"أعطيتها المال لتخلص من الجنين بالاجهاض..."

"إجهاض! ولكن... ولكن..."

وختم له أبوه الجملة بشيء من البرود:

"ولكنها لم تستخدم المال في إجراء عملية الاجهاض، بل استخدمته في الهرب إلى الشمال، لتعيش منه وهي تنتظر ولادة الطفل".

وسأله جويل:

"وكنت تعرف ذلك؟"

وهز أبوه رأسه بقوة، وقال:

"لا! قلت لك إنني أعطيتها النقود لتخلص من..."

الجنين بالاذنها من... ولم أكن أعرف أنها لم تفعل ذلك...
كان جويل يشهر بصداع شديد أشد من أي وقت مضى، هذا
أن سمع أن راشيل كانت على علاقة بأبيه... راشيل تنوجه
إلى أبيه وتتجنب من عهد أن نظيره هو بأنها هامل
ونبقى نفسا طويلا، ونظر إلى أبيه من جديد:
"ولم يخطر لك بالطبع أن أخبرني؟ ليس كذلك؟"
أضحت على راشيل في الرجاء ألا أفعل؟
"ومذ متي كنت تحترق رعايات الآخرين؟"
وأخذ جيمس يدعس كرسيه المصنوع من الحديد وبدأ يهوي
بجسمه ببطء على الكرسي، وصار ينتظر بهرارة إلى ابنه:
ويقول بصوت أجش:
"إذا كان استعراض البطولة قد انتهى، فإني أقترح أن
نتناول الموضوع الآن بطريقة هادئة متعقبة..."
"وكيف أتصرف لكي أكون هادئا ومتعقبا كما تريدني؟"
"أريد ألا تتدخل في هذا الموضوع! إنه موضوع بيني وبين
راشيل..."
"لا يمكن أن يكون كذلك بعد الآن... أريد أن أعرف بأي حق
أعطيت راشيل المال لتجدد طفلي؟"
عندئذ ضرب جيمس كعدهوم على المكتب بعنف، وقال:
"إنك تتصرف بطريقة مشيرة، يا جويل؟ كانت راشيل في يأس
شديد، هل كنت تريد أن أطردها؟"
وأقبل جويل على المكتب من جديد، وهو يقول:
"كان بإمكانك أن ترسلها إلي، بل كان بإمكانك أن
تخبرني..."
"هل تعتقد أنها كانت تقبل الذهاب؟ أعني... إليك؟"
وكانت ملامح جويل تعبر عن الازدراء، وقال:
"أعتقد أنك لم تكن تريدها أن تفعل ذلك، يا لها من فرصة
أتيحت لك لقرء بها على سلوكي إزاءك عندما كنت في كل
مناسبة أظهر العناد لتسلطك..."
"هراء..."
ورد جويل بسخرية:
"هراء؟ لا أظن ذلك..."
وسأله جيمس بغضب:
"ألا يخطر لك أن تفكر لماذا لم تحضر راشيل بنفسها إليك؟"

كانت تعلم أنها ان حضرتك الي فلن أعطيها النقود من
أجل الأبحاض...
"لماذا كنت ستفعل؟"
ورد جويل للخطبة قصيرة، وقال:
"كنت سأزوجه..."
وعقد فيه جيمس بسخرية، وقال:
"هل كنت تفعل ذلك؟ هل تتصور بأمانة أن راشيل كانت تقبل
إخراج منك في تلك الظروف؟ يا إلهي! إنك متعجرف، يا
جويل..."
"عابه أباه فما ظلم، يا أبي!"
ورد جيمس ساخطا:
"هذا... أن راشيل لم تأت إليك لأنها غرقتك على حقيقتك،
لأنها متطلعا أنانيا، كنت أكبر منها بعشر سنوات، ولم
سك ذلك من أن تشبع رغبتك على حساب تدمير حياتها..."
وأشاح جويل بوجهه بعيدا، وصار يدهدم بعنف:
"لم يكن الأمر كذلك، كنت أحبها..."
"ينفخ الأب في الهواء من أنفه نفخة قوية تعبيرا عن
المرء، وهو يقول:
"حبيب! إنك لا تعرف معنى الكلمة!"
واستدار جويل في غضب تجاهه، يقول:
"كنت إذن الذي يعرف معنى الحب؟ بعد أن تزوجت باثنتين؟"
واغم وجه جيمس، وقال:
"كنت أحبك، يا جويل! كنت أحبها كثيرا، وعندما ماتت..."
كانت أم فرنسيس على النقيض من ذلك، ولم يكن مقدرها
أنها أن يهدو قصة حب، بل عاش كل منا حياته الخاصة...
واكمل له جويل الجملة:
"استفتها بها إلى أقصى حد... نعم... لم أكن صغيرا حتى
أدرك ما كان يدور يا أبي! كل أولئك الضيوف الذين
يرمون على البيت، لم تكن قديسا! ومع ذلك فأنت تجلس
تتر كالأطفال عن الانانية وعن الطموح، ألم تكن أنت
كاسيا... ألم تكن طموحا؟"
"أجلك، يا جويل! فقط من أجلك أنت!"
وهز جويل رأسه، وهو يقول:
"من أجلي!"

"إنها الحقيقة... فأنت ابني الأكبر، يا جويل! وابن المرأة التي كنت أقدمها... هل تلومني لأنني أردت أن أصوغك في القالب الذي أراه؟"

وقاطعه جويل وهو يذرع أرض الغرفة بشيء من القلق:
"على شاكلتك! نعم! إن هذا الكلام لن يؤدي بنا إلى شيء"
لقد حولتنا عن الموضوع بما فيه الكفاية، أريد أن أعرف كيف عثرت على راشيل مرة ثانية؟ وكيف وصل بك الأمر إلى أن تطلبها للزواج؟ بل أهم من هذا أريد أن أعرف لماذا تقدم هي على مثل هذا الأمر؟ إن هذا كله يرتبط بموضوع الطفلة: موضوع سارة! ما مشكلة سارة؟ لماذا تتردد على المستشفى؟ ولماذا يسمونها المقعدة؟"

وسحق جيمس كنفدوم بقايا السيكار ليطفئه، وقال:

"ألم تسأل راشيل هذه الأسئلة؟"

"إنني أسألك إياها؟ أو تفهم؟"

وهز أبوه كتفيه استهجاناً، وقال:

"إذا كانت هي لم تستطع أن تشفي غلتك للمعرفة، فأنتي أخشى ألا يكون ذلك في طاقتي أنا أيضاً."
"أبي، انني أحذرك!"

ونهض الأب على قدميه مرة ثانية، وقال:

"لأنا الذي أحذرك، يا جويل! ابتعد عن هذا الموضوع! لقد حضت عليك سنوات، وأنت تعامل هذا البيت بازدراء، ولم تكلف نفسك عناء السؤال عني أو عن صحتي، كل ما أطلبه هو أن تبقى بعيداً عن الموضوع، استمتع بوقتك مع الآخرين الذين تهتم بهم، اعتقد أنه يغيظك أن ترى راشيل تفضلني عليك، ولكن سوف تعتاد على ذلك."

"إن أمر راشيل لا يعنيك."

"على العكس، انني مغرم بها، انني أحبها كثيراً، ولقد أحببتها دائماً، حتى عندما كنت تسهم عقلها ضدي."
ودهدم جويل بمرارة:

"ينبغي أن تعترف بأنه كان لذلك ما يبرره."

"ربما... انني أعترف... لم أكن دائماً ذلك الخير الكريم، ولكن الزمن يتغير."

كان جويل يحس بألم شديد فوق جفنيه، وقال:

"أتفق معك أن الزمن يتغير، ولكنك أنت لا تتغير! ثم سأل:

"ماذا قلت لها عني؟"

وهز جيمس كتفيه وأجاب:

"لا تصدق يا جويل! بأننا نادراً ما كنا نتحدث عنك، مرت نيل بأوقات عصيبة في السنوات الأخيرة، وإنني أعترزم أن نلها كل الأمور..."

تعل جويل يده تتخلل شعره، وعلق:

"كان يوسعك أن تذلل لها الأمور بدون أن تتزوجها..."

وسدت ابتسامة ساخرة على وجه أبيه، وهو يقول:

"ماذا؟ وأترك الميدان مفتوحاً أمامك، يا جويل! أوه، لا، إن الاتفاق الذي عقدناه أنا وراشيل لم يبق منه إلا توقيع عقد الزواج..."

عاد جويل إلى شقته التي تطل على حديقة ريجنت بارك، وكان الصداح يدق رأسه بعنف إذ ترك منزل أبيه قبل أن تنهار سيطرته على نفسه تماماً. وبلغ الغضب منه مبلغاً لم يعهده في نفسه من قبل.

وقاد سيارته إلى مكان الانتظار في الممر السفلي، واستقل فصعد إلى الطابق العلوي، وعندما دخل شقته أجفل عندما وجد مصباحاً لا يزال مضيئاً في غرفة الجلوس، وأن امرأة غامضة كانت ترقد على الأريكة الفرنسية المصنوعة من المخمل. كان صوته وهو يغلّق الباب قد أيقظها، فرفعت رأسها بابتسامة تعبر عن الترحيب، وقالت وهي تمد ذراعيها بيضين الممتلئين:

"جويل! حبيبي! خفت ألا تعود!"

وهبط جويل درجتين منخفضتين تؤديان إلى وسط الغرفة، وقال وهو يحل أزرار سترته:

"ماذا تفعلين هنا، يا أريكا؟"

وارتفع حاجبا أريكا غراي الرقيقان في شيء من التقوس، وقالت توبخه بلطف:

"أهذا هو اللقاء الذي أنتظره منك، يا حبيبي؟ لا بد أن العمل الذي سافرت من أجله إلى يوركشير لم يكن مرضياً كما كنت أنتظر..."

وجاوزها جويل متجهاً إلى المنضدة المتحركة للمشروبات التي كانت مستندة إلى الحائط، وأخذ يعد لنفسه كأساً جترعها قبل أن يقول:

"هل هيرون هو الذي فتح لك الباب؟"

وأجابته بحفاف:

"نعم منذ أربع ساعات! ما الخبر يا جويل؟ ألا يسرك أن تراني؟"

ونهضت من فوق الأريكة، ووقفت أمامه، وكان شعرها الكستنائي الداكن يتجهد بشكل أنيق حول رأسها الصغير، وكان كهبا جذائها يضيفان عدة بوصات إلى قامتها الصغيرة التي لا تزيد عن خمسة أقدام. وتذكر فائمة راشيل، كانت أكثر ارتقاعا، ولكنه سرعان ما طرح الفكرة بعيدا بشيء من الغضب والتنهيد، وقال:

"أسف يا أريكا، أنا متعب تماما، أعاني من صداع شديد، ولا أريد سوى أن أستحم وأنام."

واقتربت منه ويداها مبسوطتان، تقول:

"أوه، يا حبيبي! هل أحضر لك شيئا، قرص أسبرين مثلا أو كوب ماء معدني فورا؟"

قالت ذلك وقد تشابكت أصابع يديها.

وهز جويل رأسه، وهو يقول:

"لا لا! أشكرك! لا شيء."

ولمس جبهته بيده، وهو يضيف:

"أسف! سامحيني!"

وصار لسان أريكا يسير شفيتها العليا، فقد أحست بشيء من القلق، وكانت تعرف أن أية لحظة غير محسوبة يمكن أن تشمل نارا كبيرة، وقالت وهي تتعسس عبا عنها التي كانت قد ألقت بها على ظهر الأريكة عند وصولها:

"سأذهب، وسأطلبك بالمهاتف لماذا؟ هل أفعل؟"

نظر جويل إليها بقلق، وبدأ يحس بالأزدراء لنفسه لذلك التصرف الذي بدر منه إزاءها بدون قصد، ولكنه لم يكن الآن في حالة تسمح له بأن يتصرف بطريقة لبقة، ومع ذلك كان في ظروف أخرى، يسعد بمؤانستها، ولم تكن أريكا ترهقه بأية تكاليف، إذ كانت تكفل نفسها، وكانت على قدر كبير من الذكاء، وكان يعرف أنها تتطلع إلى زواجه في النهاية، ولم يكن يشعر بالضيق لذلك. إذ كانت مطالب عملها تتوازن مع مطالب عمله. ولم تكن تفكر في انجاب الأطفال... ولكن شيئا ما حدث فجأة، وبدأ جويل يتصور على نمط حياته

القائم على الأنانية. وكان كل ما رآه في تلك الليلة عينيي فائمتين عاصفتين يحملتان فيه في كراهية يادية... كان ذلك خبلا وجنونا... ولكن هالين العينيي كانتا تلاحقانه. ومع ذلك هل من الخيل أن يريد الإنسان من ابتله أن تحبه؟

لم يستطع أن يشرح شيئا من ذلك لأريكا، وتركها تفكر ما تشاء في سبب سلوكه غير الودي نحوها تلك الأمسية، ووضعت العبادة على كتفيها وسارت إلى الباب، وسار جويل خلفها ليوصلها:

"نعم! اطلبيني غدا، طاب مساءك يا أريكا!"

"طبت مساء."

٤ - بيت جديد • • ملابس جديدة!

أخيرا قامت سارة، ومشت راشيل على رؤوس أصابعها خارج الغرفة، وأغلقت الباب، وكان الأمر قد احتاج الى بعض الوقت لأن ما حدث ذلك اليوم كان جديدا عليها، وارتفعت حرارتها بشكل يندّر بالخطر، لكنها أخيرا بدأت تستغرق في نوم هادي • • • وسارت راشيل الى غرفة الجلوس حيث كان جيمس كنفدوم في انتظارها •

كانت الشقة الجديدة في عمارة تقع في أحد الشوارع الصغيرة المتفرعة من طريق أبي • كانت أرحب بكثير مما توقعت، ففضلا عن غرفة الجلوس الرخبة كان هناك مطبخ واسع وغرفتان للنوم، وحمام • والأثاث على درجة من الأناقة • وبدأت تدرك أن جيمس تحمل بالفعل الكثير من أجلها، وامتزج تعبيرها بالعرفان له بالجميل بشيء من الاحترام والوقار • وكان المنزل على مقربة من مستشفى سانت ماثيوز مما يسمح لها بأن تزور سارة عندما تدخل المستشفى وقتما شاءت •

كان جيمس كنفدوم يجلس على الأريكة المستطيلة عندما رجعت الى غرفة الجلوس، ونهض عندما رآها تدخل وأجلسها الى جواره، وهو يقول:

"تعال، واجلسي • اسمحي لي أن أحضر لك مشروبا •"
وأجابت وهي تجلس على حافة المقعد المريح:

"لا بأس!"

وأحضر لها شرابا ثم قال:

"التعب ياد عليك يا راشيل! أعتقد أنك تفضلين النوم مبكرة •"

وأوجأت برأسها:

"كان يوما متعبا الى حد ما •"

وأدركت أنه ينتظر منها شيئا آخر، فأضافت:

"لقد كنت كريما عندما انتظرتنا على المحطة، ودعوتنا

لنأكل طعاما سارة كانت فرحة •"
وعلى جيمس، وهو يستلقي في مقعده، وينظر اليها عن كثب:

"لم أعمل الا الواجب، وبالمناسبة، في المطبخ مؤونة كافية •"
وأعتقد أن سكرتيرتي قامت بذلك كما ينبغي •"

وحكره راشيل، وكان جيمس قد قرر أن يجعل منها امرأة تلبس بأن تقدم الى الآخرين باعتبارها زوجته، وعلق بطريقة بارعة:

"عددت الترتيبات لتزوري الصالون الرمادي خلال هذا المساء، يا راشيل •"

ورفع راشيل بصرها، وقالت:

"صالون الرمادي؟ ماذا يكون ذلك؟"

"صالون الرمادي يا عزيزتي، محل متخصص في الملابس الجاهزة، تملكه إحدى صديقات جويل، نعم! اسمها أريكا ماري • • وستقوم بنفسها على خدمتك، إذا عرفت من أنت!"

"ماذا تعني؟"

"لا! أعني أنك خطيبتني •"

كان صوته هادئا رزينا، وأكمل:

"ماذا ظننت؟ أخشى أن أقول أنني قصدت اغاظتك، كما أعظمتني • • لقد كتبت عني أنك رأيت جويل بعد أن التقينا في آخر مرة •"

وأحست راشيل أنها أشبه بدبابة وقعت في نسيج عنكبوت مأكرا، وأحست بأنه كان من واجبها أن تخبره بزيارة جويل، ولكن ذكرى تلك الزيارة كانت لا تزال فجأة لا تصمد الاختبار، وتجرات على أن تسأل:

"وكيف عرفت بها؟"

"أخبرني جويل بنفسه •"

"جويل؟"

"نعم! هل كنت تظنين أنه لن يخبرني؟"

تصورت أن جويل ربما يفضل أن يتجنب المواجهة المكشوفة مع أبيه وقالت في صوت خفيض:

"جاء منذ أكثر من أسبوع، ولكن الكولونيل لم يره • وكان يريد أن يرى سارة •"

"وأخبرته من أيوها؟ أليس كذلك؟"

"نعم!"

"لماذا؟ هل الشبه الكبير بينهما وبسطة جعلتك تفعلين ذلك؟"

"لا! لا!"

كان من السهل أن تكذب لكنها لا توافق وأضافت:

"لم يكن قد رأى سارة بعد عندما أخبرته."

وتفوس حاجباه الكثيفان، وقال:

"أذن، لماذا فعلت ذلك؟"

هزت رأسها وقالت:

"تساجرتنا مشجرة عتيقة، كنت أريد أن يحس بضربة

الحقيقة، ونجحت."

"ولم تكوني تنوين أن تخبريني بذلك؟ على الأقل لأخذ حذري

كما يقولون."

"لم يكن هناك متسع من الوقت بعد."

"لا! أعتقد أنه لم يكن هناك... وسارة... بالطبع لا تعرف

شيئا عن علاقتها بابني؟"

"لا!"

"حسنا... فقط أحب أن أوضح أنه لا ينبغي أن يخفي أحدا

سرا عن الآخر يا راشيل! ولا تنسي أنه بدون مساعدتي لن

يكون أمامك من ملاذ إلا اللجوء إلى جويل؟ هل تريد ذلك؟"

وأجابته وقمها يرتعش:

"بالطبع، لا! إنك تعلم أنني لا يمكن أن أفعل ذلك!"

وأوما جيمس بيده ليفض الأمر وهو يقول:

"وإذن فلن نقول كلاما آخر في هذا، أعتقد أن موعدك مع

لوريمر هو صباح الغد، أليس كذلك؟"

"نعم! نعم! في العاشرة."

"هل تحسن بشيء من الاضطراب؟"

"هل تحسن أنت بذلك؟"

فأجاب:

"أشعر بشيء من القلق! ربما... ولكن لوريمر هو دون شك

أكفأ رجل في ميدان تخصصه، وليس ثمة ما يدعو إلى

القلق..."

وبدأت راشيل تتحدث بشيء من عدم الثقة، فقالت:

"ولنفرض أن العملية فشلت..."

"عندئذ سوف تستأنف سارة علاجها الحالي، وينبغي

أن تكوني أكثر تفاؤلا!"

ففتحت راشيل ما بطي في كاسها، وقالت:

"سأكون سعيدة."

ويضع الكأس الفارغة على رف المائدة، وقال:

"سأخرج... بإمكانك أن تنامي... وسوف أمر بك مساء قبل

أن أباركك إلى فرنگفورت، وسيكون هذا آخر مؤتمر أحضره بأذن

كاتب الساعة. تنصير إلى التاسعة والنصف وكان الانهاك

يحل على كاهلها وأدارت زر التليفزيون بشيء من التعهد:

"سأستأنف أن تلعب المسرحية المقررة، لكنها كانت تشرود

سليما... وعندما انتهت المسرحية، وجاء شريط الأخبار فلم

أمر عرو ما يعرض على الشاشة أمامها."

XXXX

كانت راشيل ترتعد، وهي تتذكر موجة الزعب التي لفتها

عندما فتحت الباب لجيمس كنفدوم... وتعرف عليها في

الصال، ورغم أنها لم تكن قد أخبرته بعد بموضوع سارة، فإن

راشيل ذاته قد تحمس وناقش قصة مديرة منزله الجميلة

التي فقدت زوجها قبل أن يولد رضيعها..."

ولم يضع جيمس وقتا في تقدير الموقف... بل وجد الفرصة

ليحدث إلى راشيل، وليسألها عن السر وراء اختفاؤها، ورغم

أن راشيل لم تكن ترغب في أن تتحدث إليه قانها لم تستطع

أن ترفض ذلك لأنه كان ضيف مخدمها... وقررت أن تخبره

بالحقيقة، وكان جيمس متعاطفا معها وخاصة عندما علم

بمرض سارة... قال لها إنه يريد زوجة وأنه ينوي أن يعتزل

بشيء أن يعيش وحيدا دون صحبة امرأة، واقترح على

راشيل أن تنظر في قبول الاقتراح إذا كانت تريد أن تؤمن

بصحتها وأن تجد السبل لشفاء سارة..."

كانت فكرة الزواج من جيمس كنفدوم تبدو أول الأمر

مستعصمة، ولكن المزايا التي سوف تجنيها بالنسبة إلى سارة

سأت من مخاوفها... كانت مدينة لسارة بكل ما تفعل، وكانت

تفعل كل ما في طاقتها لا من أجل أن تعود سارة إلى

حالة صحية طيبة فقط، ولكن لتطمئن الى أن سارة لن تواجه الصراع نفسه من أجل الحياة كما فعلت هي من قبل، وكان جيمس هو جد الطفلة ويكن لها بعض المشاعر الفطرية، وقال إنهم سيقضون معظم السنة في بلاد اليونان، ولو سار كل شيء كما ينبغي فإن سارة ستعود في النهاية الى انكلترا لتنظم في الدراسة في إحدى المدارس هناك... وفكرت أنها سوف تنعم بكل ميزة يمكن أن يجلبها المال وهي ميزات بإمكان راشيل أن تفكر فيها بعدما قضت ابنتها سنوات حياتها الأولى في دار للأيتام، ولن تكون بحاجة الى أن تعمل إلا إذا رغبت هي حقاً في ذلك، فكيف ترفض ذلك العرض؟

x x x x

ونهمزت راشيل من جلستها فأطفأت التليفزيون، ودخلت غرفة نومها. كان هناك باب يوصل غرفتها بغرفة سارة تركته نصف مفتوح، واتجهت الى فتحة الباب وأخذت تنصت باهتمام، كانت سارة تتنفس بهدوء مما يعني أنها بدأت تشفى من معاناة ذلك اليوم.

وعلى غير ما تنتظر، نامت سارة نوما هادئاً، واستيقظت على صوت غير عادي جاء من مهمة المرور على الطريق العام على بعد ياردات قليلة من المبنى حيث يقيم. وكانت شمس آذار / مارس تنفذ من خلال الستائر، وحدثت راشيل نفسها بالتفاؤل واعتبرت ذلك بشير خير. واستطاعت أن تسمع أصواتاً من الغرفة المجاورة، وعلت شفيتها ابتسامة، كانت سارة على ما يبدو تحاول أن تستطلع غرفة نومها بدون أن توقف أمها، وقالت وهي تنظر بعينين طارفتين: "أنت كسولة، فلقد استيقظت قبلك بساعات..."

ونظرت راشيل بطريقة آلية الى ساعتها، ثم استرخت عندما رأت أن الساعة لا تزال الثامنة والنصف، وقالت: "هل نمت جيداً، يا عزيزتي؟"

"إنه فراش وثير يا أمي، هل سيكون لي فراش مثل هذا عندما نذهب للعيش مع ذلك الرجل؟"

ورغم أن جيمس طلب اليها أن تناديه بكلمة "عمي" أضرت على أن تسميه "ذلك الرجل" مما سبب لراشيل بعض

الحزن، وأجابتها راشيل في اختصار: "عندك ستجدين في الحياة في الخارج شيئاً جديداً... (تصافت) والآن اذهبي، واغتسلي بينما أقوم أنا بأعدادك لك للذهاب الى المستشفى".

وبدأت سارة تنهض من الفراش ببطء وسالت بقلق:

"أصطر الى البقاء في المستشفى اليوم، أليس كذلك؟"

وهزت راشيل رأسها، وقالت:

"لست اليوم ذاهبة فقط ليراك الدكتور لوريمر، تذكرين الدكتور لوريمر، أليس كذلك؟ قابلته آخر مرة كنا في لندن؟"

عندما كنا نقيم في الفندق الكبير؟"

واضحت راشيل ابتسامة خافتة، وقالت:

"نعم، والآن، هيا! اغتسلي!"

وبل جرس الهاتف، وأحسبت راشيل بأعصابها تتوتر، وهي ترقع الساعة، كان المتحدث هو سكرتيرة جيمس كينغدوم تحدثها راشيل أن كل شيء على ما يرام، وشكرتها لما أحسبت من أجلهما، وأجابت السكرتيرة في أدب:

"سأيا سيدة غيلمور، إنه واجبي."

وأحسبت راشيل رغم ذلك أن السكرتيرة لم تكن راضية تماماً عن الوضع، وخرجت الى المستشفى بعد الإفطار.

كان الدكتور لوريمر، الجراح المكلف بحالة سارة، رجلاً في الأربعينات من عمره يتمتع بمظهر يبعث الثقة في مرضاه، وكان يهتم بطريقة خاصة بالأطفال وأدركت سارة ذلك من زيارتها الأولى.

ورغم أنها لم تقابله إلا مرة واحدة من قبل سمحت له بأن يحسبها دون أن تبدي أي اعتراض، ولم يستغرق الفحص وقتاً طويلاً وقدمت راشيل للطبيب فيما بعد سائر الوثائق اللازمة، كما كانت سارة تلعب مع هيلغا، دميته، واتخذت الترتيبات اللازمة لتدخل سارة المستشفى. وأحسبت راشيل بارتياح كبير عندما انتهت المهمة.

وحضر جيمس كينغدوم الى الشقة مرة ثانية تلك الامسية، وأدلت سارة تتحدث عن زيارتها الى المستشفى وعن الدكتور لوريمر بلطفه ورقته، وأحسبت راشيل بالارتياح لوجود الطفلة مما ساعد على تخاشي وجودهما على انفراد ولو لفترة،

كان ملحق القلب فيما يخص العمل، وكانت راشيل تعرف
من ذلك من جويل منذ سنوات مضت، ومع ذلك كان من
صعب تماماً عليها أن تتصور نفسها أما لطفل منه،
والمرغ جيمس كاسه، وصار ينظر إليها باحسان، وقال:
"سأستأجرها"، أخذت الترتيبات لكي تحضر السيدة ثالوث
من هنا وتقيم معك خلال الفترة التي تقضيها سارة في
المستشفى".

وقضت راشيل، وقالت:

"سيدة ثالوث، أه، مديرة المنزل التي تعمل في بيتك...
عزت رأسها وأصاغت) ليس ذلك ضرورياً...
أشك معك، فأنا لا أحب أن لقيمي هنا وحدك عندما لا
أكون موجوداً لا عنى بك".

"سأستأجر سارة ستقضي في المستشفى ليلة واحدة...
بمجرد ذلك أفضل أن أطمئن أنك لست وحيدة".

منصلها لا يقبل المناقشة، ولم تجد راشيل ما ترد به،
لكنها لم تستطع أن تمنع خاطرها من أن يخطر لها حول ما إذا كان
يوجد أية علاقة بهذا الاهتمام الواضح الذي يبديه برعاية
سرتها.

في الصباح التالي، قبل أن يطير جيمس إلى فرانكفورت
من راشيل هاتفاً من المطار، وقال:

"سأستأجر أن أخبرك، يا عزيزتي، أن الأنسة كلاي ستزورك هذا
المسحوق لتصلبك إلى محل الأرباب الذي أخبرتك عنه".

وكانت الأنسة كلاي تعمل سكرتيرة له، واعترضت راشيل،
وكني لا أريد أية ملابس أخرى".

"كني لي تقدير ذلك، وأرجو أن تسمح لي بأن أجعلك
ممن ما يليق بمكانة أسرة كنفدوم".

"كني لست بعد عضواً في أسرة كنفدوم، يا جيمس...
سوف أصبحين كذلك عما قريب، يا راشيل، أرجو أن
تجيبني لطيفي، وإنني أطمح إلى أن أرى التغيير عند
الزمن".

تعد راشيل وعداً قاطعاً عندما وضعت الساعة، وكالعادة
لا يمكن هناك جدوى في محاولة التوضيح بأنها تفضل أن تبقى
ساعة حتى يتم الزواج، ولكن إذا صعدت الأنسة كلاي أن
تأخذها إلى الصالون الرمادي، فإن ما بقي معها من النقود

ومع ذلك كان على سارة أن تذهب في النهاية إلى مخدعها،
وعندها رجعت راشيل لتجالس صيفها في غرفة الجلوس كان
يبعد عليها الارتياح التام، وساعدها على الجلوس في كرسي
مريح، وقدم إليها كأساً من الشراب، وقال:

"ألا تريين أن سارة تشعر بالاستقرار تماماً، لن يكون الأمر
صعباً كما نتصور!"

وخطر لراشيل أن الأمر ليس كذلك تماماً بالنسبة إلى سارة،
ولكنها مع ذلك قالت:

"الأطفال يتكيفون سريعاً، وهذه إحدى ميزات صغر السن...
وطفقت جيمس لسانه كلاماً على عدم الموافقة، وقال:

"إنك تتحدثين كأنك في أواخر العمر، إنني أعجب بشبابك
يا راشيل! ومن يدري فربما لا تزال أمامنا الفرصة ليكون لنا
أطفال ننجبهم سوياً".

وتصلبت راشيل بعض الشيء، ولم تكن تستطيع أن تتحدث
الموقف، وقالت بارتباك:

"أوه، لا أدري".

ولم يكن جيمس ينصت إليها، وواصل الكلام:
"سأستقرب حوالي عشرة أيام، ولعل ذلك يكون وقتاً كافياً نعتنا
فيه سارة على ظروفها الجديدة، ليس هنا فقط، وإنما في
المستشفى كذلك، وعندما أعود يمكن أن نتحدث عن ذلك
أطمئني فجميع الترتيبات اللازمة قيد التحضير".

وأومأت راشيل برأسها، وقالت:

"أعرف، فقد أخبرني الدكتور لوريير...
هنا، وسوف يحرض على أن يزودك بالأخبار أولاً بأول، هي
أنت مطمئنة إليه؟"

"نعم، وعندما تنتهي العملية؟"

"ستكون بلاد اليونان مكاناً أمثل للعقاة، واسترداد الصحة...
ولكن... المصروف؟"

"فرنسييس ليس سيئاً، يا عزيزتي، ويستطيع أن يتصرف...
ولكن كم يطول ذلك؟ أنت تعرف يا جيمس، أنك أخبرتني...
أخبرتني أنني كنت أتمنى أن يهل جويل محلي ولكنه رفض
وسوف يكون على فرنسييس أن يتحمل المسؤولية الآن، وإذا
سار كل شيء على ما يرام فربما نؤاتيني الفرصة ليكون لنا
طفل على صورتني".

على ضالته سوف ينفذ إذا ما حاولت أن تشتري ملابس جديدة.
كانت ليديا كلاي امرأة في نهاية العقد الرابع من عمرها،
عملت في مؤسسة كنفدوم منذ كانت لا تزال أنسة صغيرة،
ولأنها كانت سكرتيرة المدير، انعكس ذلك على سلوكها الذي
كان يتسم بالتحديد والتصميم.

وصلت ليديا في سيارة أجرة لتصبحهما إلى السوق، وكانت
السيارة في الانتظار عندما غادرن المبنى، وكان الصالون
الرمادي يقع في زقاق يتفرع من شارع ريجنت، ولم يكن في
مظهره من الخارج ما يجذب الزائر إليه، ولكن ما أن يجتاز
الزائر الباب الزجاجي الدوار حتى يحس في الحال بشيء من
التوقع الغامض الذي يثير الاهتمام، وكانت هناك سائر من
الشيخون الوردية والقرنفلي تحجب كل شيء.

ولم تكن الملابس أو القسائين معلقة كما تعودت راشيل من
قبل في محلات أخرى. أما سارة فقد كانت تنظر حولها
باهتمام وهي ترتدي سرواتها الجينز وسترتها المصنوعة من
الفراء ذات القلنسوة، بينما تتدلى هيلغا من يدها كالعادة،
وقالت في صراحة الأطفال:

"المخل فارغ من السلع، يا ماما. هل حدثت تصفية؟"
وانتفضت شفيا الأنسة كلاي عندما سمعت ذلك، وكانت
إحدى البائعات تجتاز المكان، فأخفت الأنسة كلاي شعورها
بدرجة كافية وقالت:

"صباح الخير."
"أوه، صباح الخير، أنسة كلاي."
وواصلت السكرتيرة كلامها مع البائعة بشيء من اللطف:

"الآنسة غراي، هل هي موجودة؟"
وأجابت البائعة:

"موجودة بالفعل. سنسير في هذا الاتجاه."
كانت راشيل تتوقع الآنسة غراي على شيء من الجمال
المهيب، ولكن أريكا غراي كانت ضئيلة الجسم، وعندما
ظهرت بانافتها في بذلة رمادية محكمة على جسمها وشعره
الذي يميل إلى السمرة جعلت راشيل تشعر في أعماقها أنها
طويلة القامة تعوزها البراعة، فضلا عن أن النظرة السريعة
التي ألقتها على ملابس راشيل كانت مهينة لها، وحيث
بشيء من البرود، وهي تقول:

هل إذن السيدة غيلمور؟ أخبرني السيد كنفدوم بقدومك،
هناك. اسمي أريكا غراي."
سقطت الأنسة غراي نظرة خاطفة إلى الأنسة كلاي ثم وقع
عينيها على سارة، وقالت:

"هذه أنتك يا سيدة غيلمور؟"

وأجابت راشيل برأسها، وأجابت:

"هذه سارة."

سقطت شفيا أريكا المرقيقنان إلى أسفل، وقالت:

"يا سارة!"

لكن سارة لم ترد التحية، وأخذت تحقق النظر في شيء
من عتاد، ولاحظت آثار غضبة بسيطة على جبين أريكا
التي، وكان من الواضح أنها أخذت بالمشبه الواضح بين
عينا وأسرة كنفدوم، ولحسن الحظ تذكرت راشيل أن جيمس
من الأسرة ذاتها.

وقعت أريكا وفي نبرات صوتها ما يدل على أنها تقصد
بشئ مهانة مقنعة إلى راشيل:

"لها لا تشبهك كثيرا، يا سيدة غيلمور، اليس كذلك؟"

وسحمت راشيل كل ما بقي لديها من آثار الثقة بالنفس،
وقالت:

"أنسة غراي، انها لا تشبهني، والواقع أنها تشبه جدما
في حد كبير."

ولكن ذلك دون أن تبالي بالطريقة التي تفسر بها الآنسة غراي
التي كانت تقول:

ولمست الأنسة كلاي لا تتكلم إلا قليلا، وقد تجاهلت سارة
وودام صبر سارة بعض الوقت فجلست في كرسيها وقد
عبرت التفسير الذي كان يحدث في مظهر أمها، ولكنها بعد أن
سقطت الدقائق إلى الساعة وامتدت الساعة إلى الساعين بدأ
عينيها بالقلق، وصارت تسأل:

"لماذا لا يظول بقاؤنا هناك؟"

ولم يكن بوسع راشيل أن تجيب على سؤال ابنتها، وذلك
لأنها تشغلتها كلية مع الآنسة غراي، وفضلا عن ذلك مضى
وقت طويل ثم تكلف نفسها فيه مشقة العناية بمظهرها
لأنها لم تكن أن تبدو نظيفة مهذبة، ولاح لها رغم مشيقتها أنها
كانت تستمتع بهذه الخبرة الجديدة.

فراشة الحبة ٥ - آيس كريم

كانت أريكا الشخص الوحيد الذي لم يبدد الدهشة لحديث
جويل، ولكنها كانت عذبة منومة في اختيار الأزياء
التي كانت ترتديها وفقا للتعليمات التي تلقاها من جيمس
كروم، وكان الأمر بالنسبة إليها عملا يتطلب الانجاز، أما
الآنسة كلاي فقد كانت تنظر بشيء من عدم الموافقة، وأما
سارة فكانت عابسة مقلبة، وبالنسبة لراشيل... حسنا، فظهر
لها وهي تحاول أن تستعيد رباطة جأشها أن جويل أراد أن
يشرحها، ونجح في ذلك.

والفتى جويل من أريكا إلى سارة، وقال وهو ينمني نجاحها
بقلب منها:

"أما رأيك في ملابس ماما الجديدة؟"

وحملت سارة أنفها، وزمت شفيتها وحذقت في وجهه،
وتسم ابتسامة عريضة انعكس أثرها بطريقة تنير الدهشة
من حولها فقد بدا أقل عمرا بكثير مما هو، وعلق بشيء من
العدا:

"هذا وجه جميل لطيف... والآن أريد أن يعرف عن القصب
والبحر."

ومرت سارة شفيتها بطريقة أكثر تشددا، ولكن شيئا ما في
السامية جعلها لتذبذبان، وقالت:

"أنا لا أحبك... قالت ذلك عندما لم تستطع أن
تصفه، والتكشيرة لوقت أطول، ولم تملك الآنسة كلاي إلا أن
تطلق لسانها في شيء من الاستنكار."

ولأول مرة نظمت راشيل، وقالت:

"سارة!"

ورفع جويل بصره إليها بشيء من الاستخفاف، وقال ساخرا:

"حسنا! أنت ذاهبة إلى حفل راقص، يا سندريلا!"
وامتدح وجهها، واستدار جويل ثانية إلى الطفلة، وأمسك
بمرفع هيلفا الطليقة، وقال:

وعندما خرجت من إحدى المقصورات كانت ترتدي ثوبا من
المطبخة هي لون الياقوت الأزرق له صدر منطوق ضيق،
وأكمام طويلة حبكت على رجليها قبل أن تتدلى باتساع عند
الكوخ في زي يشبه ما كان سائدا في العصور الوسطى، عند
ذلك سمعت صوت رجل في الطاعة الخارجية، وقبل أن تجد
الوقت لتصلح من شأنها خطا الرجل بخطوات واسعة من خلال
الستائر، ووقفت في مواجهة، وكان الرجل هو جويل، وانزلت
أريكا كل ما في يديها في الحال، وذهبت للترتيب به:

"يا حبيبتي، ماذا تفعل هنا؟"

ونظر جويل من فوق رأس أريكا إلى راشيل، واندفع الده
إلى وجهها من تلك النظرة، وقال في شيء من السخرية:

"أوه، لقد ظننت أنه من المناسب أن ألقي نظرة على تلك التي
ستأخذو زوجة لأبي."

وبين الأعراء، ليس فقط بتناول الأيس كريم بل أيضا بأن
ترسم لها صورة أخرى. وهمست بصوت خفيض بمنزج بالشك:
"مامي، هل تفضين إذا ذهبت مع السيد كنفدوم؟"
ونجبت راشيل نظرة جويل، وسألت بطريقة منقطعة:
"هل هذا هو ما تريدينه؟"

وأجابت سارة في شيء من التردد:
"لمدة قصيرة فقط، إن تأخر، هل أذهب؟"
ورفعت عينيهما إلى جويل، الذي أجاب، وهو يهر كتفيه:
"يمكنك أن تتغيبي كما تشائين، أعرف عنوان سكنك."
كانت راشيل في موقف صعب للغاية، وكلاهما يعرف ذلك.
ودمدمت بطريقة لتقصصها الكياسة:
"حسنا، سارة، أرجو أن تسلكي بطريقة سليمة، ولا داعي
للثورة!"

كانت سارة تعرف ما يعنيه ذلك، وفهمت أنها لا ينبغي أن
تحدث عن مرضها وابتنسوت، ونظرت راشيل إليها. ومد جويل
يدها إليها فأحسكت بها وخرجها سويا، وكان الجو قد أصبح
متوترا بدرجة واضحة بعدما خرجا.
وعلمت أريكا وهي تشد بقسوة بحاية رداء من المخمل:
"لم أكن أدري أن جويل يعرف ابنتك إلى هذه الدرجة."
وخطت راشيل خارج الرداء، وهزت رأسها، وقالت في شيء
من السرعة:

"هو لا يعرفها بهذه الدرجة، قابلها مرة واحدة من قبل."
وردت أريكا وفي صوتها نغمة الشك:
"ومع ذلك يرسمها من الذاكرة، لم أكن أظن أنها تبقى في
ذاكرته إلى هذا الحد... بالطبع هي سوف تصبح أخته من
أمه عندما تتزوجين جيمس كنفدوم، اليس كذلك؟"
ونشقت راشيل نفسها عميقا، وقالت:

"أعتقد أنني شاهدت قدرا لا بأس به من الثياب اليوم، هل
يمكن أن ترسلي لي البذلة الخضراء باللون اللوزي، والفستان
الأرجواني والسترة."
"إن الأوامر التي تلقيتها تقضي تزويدك بكسوة كاملة،
وأعتقد أنك لا تريدني أن أؤدي مشاعر السيد كنفدوم."
ونظرت راشيل إلى أريكا ثم إلى وجه الأنسة كلاي
المتخشب، ثم عاودت النظر إلى أريكا، لم تكن ثمة

شيء ترحي من تصعيد الموقف معهما، بينما جويل هو
يسأل عن كل شيء حدث، ثم إنه إذا كانت علاقته بأريكا
تعد بالفعل المبلغ الذي كانت أريكا توحى به، فمن حقها
أن تعبر عن استيائها.

ونظرت حولها تبحث عن السروال والسترة الصوفية اللذين
نظرت بهما وقالت:

"أعني ما تعتقدين أنه الأفضل، ولكن لو سمحت، فانا تعبت
جميع ذلك صمت عميق استجمعت أريكا نفسها خلاله،
وقالت:

"سوف أطمئن على أن جميع الملابس المناسبة تم توليفها،
من أرسنها إلى منزل السيد كنفدوم؟"

اهزت راشيل رأسها، وقالت:
"أني شفتي، سأعطيك عنوانها، والأفضل أن ترسلها لي
في هذا العنوان."

وردت أريكا بأدب وهدوء للمرة الثانية:
"حسنا يا سيده غيلمور،"
وسألت راشيل بشيء من الاحباط:

"هل تعرفين أين أجد سروالي وسرتي الصوفية؟"
ونظرت أريكا حولها، ثم هزت كتفيتها، وقالت:

"أني أقترح أن تلبيسي شيئا أكثر أناقة يناسب المدينة!"
لقد حدثت راشيل ببرود، ثم استدارت بعيدا، وقالت:
"مترك، ولكنني أفضل أن ارتدي ملابس أطول فترة
موت."

وخرجت مع الأنسة كلاي بعدما ودعت أريكا، ولم تستطع
أريكا أن تمنع خاطرا قاسيا خطر لها بأن جيمس قصد عن
أنا أن يبعث بها إلى ذلك المكان لتعرف أن عاجلا أو آجلا
تتلاقى بين أريكا وجويل.

كان يعن أنها ما زالت تحتفظ ببعض المشاعر تجاه جويل،
لها تحتفظ حقا ببعض المشاعر، ولكن ليست تلك التي
سجل أن يارق بسببها.

استقلت الأنسة كلاي سيارة أجرة، وأخذت راشيل تسكن
في شارع ريجنت تتفرج على الواجهات، وذكرها ذلك بأيام
السعداء تلك الأيام التي لم تكن قد عرفت فيها جويل بعد.

لم تنقطع راشيل بطفولة سعيدة، إذ غدت يتيمه قبل أن تصل إلى السن الذي تستطيع فيه أن تتذكر أبويها، وتربت في أحد بيوت الاطفال حيث يكون إشباع الحاجة إلى المحبة والحنان نائلا لمرحلة الاهتمام بالواجبات العادية للمعيشة. كان لها أصدقاؤها، وكانت هناك فترات استمتعت فيها بالسعادة، ولكنها لم تبدأ تحبس بها تشعر به الفتيات في سنها عادة قبل أن تصل إلى السن الذي استطاعت فيه أن تعتمد على نفسها، ولما أعطيت لها منحة دراسية، استطاعت أن تجد حرفة في أحد الأقسام الداخلية، وانتظمت في كلية ماكسويل للتصميمات الفنية والحرف وعرفت باستمرار بتذوقها للألوان، وأمضت حوالي تسعة شهور في الكلية عندما جاء جويل كنغدوم لالقاء محاضرات على طلابها.

وجدت راشيل اهتمامه منذ اللحظة الأولى، في البداية رفضت أن تكون لها به أية صلة خارج الكلية، وصممت على ذلك رغم أن الطالبات الأخريات كن يعتبرن ذلك جنونا منها، ولكن ذات مساء وقف خارج الكلية ينتظرها وكان المطر ينهمر بشدة، ولم تجد بدا من أن توافق على أن يوصلها بسيارته إلى بيتها، ومنذ ذلك الحين صار ينتظرها كل مساء، وسمحت له أحيانا أن يصطحبها لتناول العشاء وأدركت الآن أنها كانت على خطأ عندما ظنت أن بإمكانها أن تلهو مع رجل مثل جويل بدون أن تحترق أصابعها، ولكن كان كل شيء يبدو غاية في البساطة إذ ذاك.

كان جويل يبدو جذابا للغاية ووقعت في حبه قبل أن يمضي وقت طويل دون أن تدري ذلك، وقال لها جويل أيضا إنه يحبها، ورغم أنها كانت تعرف عندئذ أنه ليست له نية الزواج ظنت أنه عندما يقع ذلك الحادث السعيد فسوف تغدو زوجته. وبدأت تدرك الآن أنها ساذجة وغبية إلى حد بعيد، لم يكن الزواج أحد مشروعات جويل في يوم من الأيام، وكان ينبغي أن تأخذ حذرهما عندما عرفت آراءه حول الأطفال، تكلم كثيرا في تلك الأيام عن أناس يعرفهم، ويرى أن الاطفال جلبوا المذلة لحياتهم، وكان يأسف للأزواج الذين يضحون بشبابهم من أجل تربية أبنائهم الذين لا يلبثون أن يكبروا ويهجروا الآباء ليعيشوا حياة خاصة بهم. وكانت راشيل تنظاها بالموافقة بينما هي في قرارة نفسها تلعن تلك القسوة

عند عرجائه من حنو الأمومة في طفولته، فقد ماتت أمه بعد بضعة أشهر، وكانت تعتقد أنه إذا ما تم الزواج بينهما لكانا يملكان لنجاب الاطفال مثلها تماما.

مضت بعضي وقتا طويلا في مسكنه، وتعرفت على خادمه هناك، وبدأت تعتاد المكان. كان جويل يعاني من حالة صداع نصفي مستمر يعاوده في كثير من الأحيان، ولم تكن النبوءات تحدث على فترات متقاربة. وفي إحدى الأمسيات التي كان هيرون قد استأذن فيها من إشراف، حضرت راشيل إلى المسكن، ووجدت جويل شاحبا بعض عرقا، ومع ذلك كان مستغرقا في إكمال لوحة لأحد المرضى التي ستقام خلال يومين.

واقنعت راشيل بأن إصراره على العمل، وهو في تلك الحال، غير خبلا، وأنه لا يمكن أن يأتي إنتاجه بالدرجة المطلوبة. ولما أنه أن يذهب إلى الفراش ليسترخي ويستريح. وقنعت في النهاية بأن يفعل ذلك شريطة أن تبقى معه، بقي في مسكنه ولا تعود إلى بيتها قبل أن يفارق ليوصلها، خرجت راشيل أول الأمر ولكنها وافقت بعد أن وجدته في حالة من الخوار لم تكن تتوقعها، وتركته ليسترخي وبقيت هي في غرفة الجلوس.

ولم تكن لتفكر له أو لنفسها قط ما حدث إذ كان شيئا ليس في الامكان تجنبه.

وفي اليوم التالي اكتشفت بالضبط كم كان ذلك الذي حدث شيئا مهما لجويل، وعوضا عن أن يعتذر عما حدث بدا أنه يحضره مرحلة من مراحل التطور الطبيعي للعلاقة بينهما، ولم يحاول أن يشير إلى موضوع الزواج كعلاج لما بدر منه.

وشعرت راشيل بأنها تحطمت وتجنبته لأكثر من أسبوع. كانت خلاله عددا من الاتصالات الهاتفية كانت في أول الأمر تنفذ صيغة الإلحاح، ولكنها تطورت إلى سباب غاضب بسبب براوغتها له، وأخيرا وافقت أن تقابله وتواجهه بحقيقة مشاعرهما، كانت مقابلة رهيبة بدأها جويل بالتوسل اليها، وأنهاها بأنه لم يكن بعد مستعدا لأن يضحى بحريته من أجل آداب المجتمع وتقاليد، وطلب اليها أن تكون متعقلا وراشدة وباضحة وأن تسير الأفكار الجديدة التي تدفع العذراوات بالرجعية والتخلف، كان كل ما فعله أن أعطاها درسا في التحضر.

وتبادلا ألغازا قاسية ومؤذية شعرت راشيل بعدها بالأسف
المزير لذلك، ولكنه قضى على ما بقي لديها من مشاعر تكنها
نحوه.

عند ذاك وبعد ثلاثة أسابيع مضت، اكتشفت أنه كان عليها
أن تدفع ثمنها آخر تكفر به عن تلك الليلة الطائشة، كانت
حاملة، وبلا مال ومع ذلك صممت على ألا تطلب من جويل أية
مساعدة.

x x x x

وأفاق راشيل من تلك الأفكار واستجمعت قواها، وابتعدت
عن المكان، وجاءتها الشواطر حول سارة وأين ذهبت مع
جويل؟ ترى هل تتعلق سارة به؟ وماذا يقول جيمس كنفدوم
في ذلك؟

كانت الساعة قد جاوزت الثانية عشرة بقليل عندما وصلت
راشيل الى مسكنها، ولم يكن هناك أثر للسيارة التي كان
جويل يقودها يوم حضر الى لانغثويت، ودخلت الشقة، وخلعت
سكرتها، وذهبت لتعد لنفسها بعض القهوة لتشغل الوقت،
عندما قرع الجرس، وذهبت لتفتح الباب، وهي تحاول أن
تهديء من روعها.

ودخلت سارة الى الشقة بشيء من الجلبة وهي تمسك
بذميتها هيلغا في إحدى يديها بينما تلوح في يدها الأخرى
بإحدى أوراق الرسم، كانت عينا راشيل تتركزان على الطفلة
ولم تبحرأها الا لحظة وقعتا برغم إرادتها على الرجل ذي
العينين الضيقتين الذي كان يقف بسخريّة في المدخل ينظر
اليها بشيء من الاصرار الغامض، وعلق وهو يستند على دعامة
الباب قائلاً:

"ها هي سارة سألمة آمنة كما تريد، هلا دعوتني للدخول؟"
كان من العسير عليها أن تركز انتباهها، إذ كانت سارة
تشد يدها بقوة تريد أن تريها ما أحضرته معها، وقالت في
شيء من التعثر:

"هل هناك ما يحملني على أن أدعوك للدخول؟"
"لا! ولكن هل هناك ما يحملك علي ألا تدعوني؟"
قالها جويل بحدة ودلف الى غرفة الجلوس.

صعرت راشيل أن توجه كل انتباهها الى الطفلة عندئذ،
وأفادت الرسم الذي كانت سارة تقدمه اليها، وأحسّت بأن
هناك بعض باضطراب وهي تنظر الى الصورة التي رسمها
جويل، كانت موهبته في الرسم فوق المشك، وكانت راشيل قد
أصبحت إيمانها بفعله، وبسهولة اندماجها في ألوانه. ولكن
لما سارت كانت تختلف بطريقة ما، وحاولت أن تنغم نفسها
في ذلك الشعور ناشيء عن حساسية خاصة لأن الصورة تمسها
من كبد، ولأنها تعرف نقطة الضعف في نسب سارة مما زاد
من حدة الموضوع. ولكن المشكلة كانت أكبر من ذلك، ولو
أصبح لها أن تعرف الامر بطريقة أفضل لعرفت أنه هناك مشاعر
تطفئ وراء كل خط من خطوط الصورة، ولم يكن باستطاعتها
أن تتعرف في ماهية تلك المشاعر.

وأفادت سارة أمها تغير عن سعادتها:

"أنا... إنني أبتسم!"

وأفادت جويل ضحكة خرجت من أنفها، وقال:

"سأرى وراء ذلك هو كمية الآيس كريم الضخمة التي
أكلتها!"

فأجاب وهو يستلقي على الأريكة دون استئذان:

"مركب سارة أمها وراحت نحوه وقالت:

"على أي حال، فأنت أيضا أكلت واحدة!"

"كنا لم تكن كبيرة مثل التي أكلتها أنت!"

كان بإمكانك أن تأكل واحدة كبيرة. كان لذيذا رغم كل
شيء. (ثم سألته) هل صحيح أن ذلك الرجل يقوم بطهو جميع
الأسماك؟

فأفادت رأس راشيل الى أعلى، وألقت بالصورة على
سجادة مجاورة، وسألت:

"أين كنت يا سارة؟"

أفادت الى منزل جويل... العالي في السماء... وصعدنا في
السعد الذي ذهب...

وأفادت راشيل وهي في حالة من الروع:

"هل أحسها الى مسكنك؟"

وأفادت جويل اليها بعينين قاسيتين، وقال:

"أنا... أذهب... أنت الى هناك مرارا؟"

وأفادت جويل بحدة، وسألت:

"صحيح يا مامي؟ ذهبت هناك فعلا؟ ورأيت كل الغرف؟"

"نعم!"

قالت لها راشيل باختصار ولم تكن تستطيع أن تنكر، وأدركت بوضوح أن جويل كان يبين لها كيف يستطيع بسهولة أن يدمرها، ولشد ما كان مقتها له بسبب ذلك.

وبدا يتحدث إلى سارة:

"كنت أنا وأمك صديقين منذ سنوات، قبل أن تولدي."

وسأله سارة:

"هل كنت تعرف أبي؟"

كانت سارة قد بلغت حدا من الأثارة، ولكن راشيل بدأت تضيق بالموقف، وتدخلت لتضع حدا لما يدور، وقالت:

"بالطبع، لم يكن يعرفه. سارة، حان وقت الطعام، قولي وداعا للسيد كنغدوم، وأذهبي لتغسلي يديك، سأعد لك بعض الحساء، وسيكون جاهزا خلال خمس دقائق."

وبدا على سارة أنها أصيبت بشيء من الاحباط، واتجهت نحو الباب، وقالت وهي تستند على المقبض:

"وداعا، يا جويل."

وابتسم جويل، وقال:

"إلى الغلنقى، يا سارة."

وانصرفت سارة، ونظرت راشيل إليه ببرود، وقالت على مضض:

"أعتقد من واجبي أن أشكرك على عنايتك بسارة."

ونهض جويل على قدميه، وقال:

"إذا كنت لا تريد ذلك فلا داع، استمتعت بصحبتها، إنها طفلة ذكية، ولقد وجدت صحبتها مبعثا للأثارة."

وضمت برمة وقال:

"أريد أن أراها ثانية."

وخرجت من بين شفتيها: "دون أن تفكر جيدا فيما تقول عبارة:

"لن نستطيع."

وعندما رأت صرامة ملامحه، حاولت أن تجد الأسباب لتقنعه، فأضافت:

"أرجوك يا جويل أن تحكم عقلك لا داعي لجعل الأمور تسير إلى الأسوأ."

وسأل بنفسه:

"ليس من حقي أن أطلب معرفة ابنتي؟"

كان القميص الحريري الثقيل الذي يلبسه منفرجا يكشف عن منجرته، وكان يلبس سترة فاتحة اللون من قماش قطني متين وسروالا أزرق مصلعا. وكان يقف ملاصقا لها بحيث بدأت تنسم رائحته، وأضاف:

"لا تعتقدين أنك مدينة لي بالقليل من وقتها؟"

وأجابت على الفور:

"أنا لا أدين لك بشيء، إنك تأخذ ما تريد... إنك لا تنتظر حتى تطلب."

وكان لا بد لها من السقوط في ذلك العناق المؤثر الذي كسحها كالسيل.

"مامي؟"

كانت هذه الصيحة الرقيقة التي انبعثت من سارة تعبيرا عن الاندهاش هي التي أعادت راشيل إلى صوابها، وجذبت نفسها بعيدا عن جويل، واتجهت نحو الطفلة، وهي تصلح من شعرها بأصابع مرتعشة، وتشد السترة الصوفية على أسفل ظهرها، وقالت بشيء من الارتجاف:

"ذن أنت هنا يا عزيزتي... هل غسلت يديك؟"

وزمت سارة شفتيها، وحدقت بعبوس إلى حيث كان يقف جويل خلف أمها، يصلح من شعره بيديه.

وسار جويل نحو الباب قائلا بهدوء:

"سوف أراك قريبا يا سارة، وداعا يا راشيل."

ولم تخر راشيل جوابا، إذ لم تكن تثق في قدرتها على الكلام، وكان كل ما تشعر به عندئذ أنها تود لو انقضت عليه. لها كما كان يبدو دائما، الطباع نفسها والسلوك نفسه، كما أسف.

والغلق الباب خلفه، وحولت سارة انتباهها إلى أمها، وقالت بحدة ذهنها المعهودة:

"أعتقد أن ذلك الرجل، والد جويل، يحب أن يراك هكذا مع جويل وحتى أنا لا أحب أن أراك تفعلين ذلك، إنك أمي أنا، ولست أمة هو."

واقتضت راشيل طفلتها بين ذراعيها، وعانقتها بقوة. ولست يائسة لو كان الأمر بتلك البساطة. تمتعت لو أن

فراشة الحبة ٦ - الصفحة

افصراع الذي كان عليها أن تواجهه كان مجرد صراع غير
طفلة على أمها .

كان المساء التالي موعد دخول سارة المستشفى للعلاج .
وكان المقرر أن تمضي ليلة واحدة كالعادة . لكن راشيل قررت
تتصل بالسيدة تاليوت بالرغم من وصية جيمس ، وبغض
المر عن أي شيء آخر فهي لم تكن تعرف تلك المرأة جيدا ،
فمنها عن أنها لم تكن مهياة للتعامل مع غرباء في مثل تلك
الظروف .

خلال فترة الصباح وصل رسول من "الصالون الرمادي"
حزمة بضائيق الثياب والأحذية والملابس الداخلية التي
أرسلت أريكا غراي أنها لازمة لكسوة المرأة التي ستغدو زوجة
جيمس كنفدوم . وأتاح ذلك لسارة على الأقل وقتا مبهجا تفتح
في الرزم وتخرج الفساتين وتدور بها في غرفة نوم راشيل
بعد جعلت الواحد منها تلو الآخر يتدلى أمامها موازيا لقامتها .
وكانت الفكرة بأن يشتري لها رجل ، أي رجل ، ملابسها
سما بغضها بالنسبة إليها .

لكن راشيل لم تكن قادرة على إخفاء إعجابها بكل تلك
الملابس . وبدلت سروالها وسترتها بقطعتين من القطيفة
الفضية المضلعة بلون أخضر فريد وبلوزة لها لون أرجواني
مشرق .

كان التحول إلى هذا الزي الجديد شيئا يبعث على الرضى ،
ولمحت بطريقة ساخرة لما يمكن أن تصنع الثياب في مظهر
الإنسان ، فقد بدت بالفعل أصغر سنا بكثير بل بدت كذلك أقل
نفاقا .

وقررت أن تخرج مع سارة لمشاهدة معالم المدينة في فترة
بعد الظهر . ولم تكن سارة قد شاهدت بعد مبنى البرلمان أو
فصر بكنفهام . بل تأقت نفسها إلى أن تسير في حديقة سانت
جيمس بارك وتطعم طيور البط التي تسبح في البحيرة
وتستمع بشمس الربيع التي تومض من خلال الأشجار ،
وتحدث راشيل إلى سارة عن حياتها في لندن عندما

كانت طالبة، وعبرت سارة عن أمنيته في أن تصبح طالبة في يوم من الأيام.

وعندما رجعا إلى الشقة كانت السيدة تالبوت مديرة منزل السيد جيمس كنفدوم هناك، ولم تكن قد ضيعت وقتها سدى أثناء غيابهما إذ كان الأثاث نظيفا لامعا وأواني الطعام الذي تناوله ظهرا وضعت نظيفة في مكانها الأصلي.

وأحست راشيل بشيء من الغضب والاحباط عندما اتضح لها أن جيمس قد أعطي تلك المرأة مفتاحا لشقتها، وأدركت أنه كان يبخر منها عندما كان يأتي ليدق جرس مسكنها وينتظر حتى تسمح له بالدخول.

وابتسمت السيدة تالبوت ابتسامة فيها شيء من الاعتذار وحينئذ بادب:

"طاب يومك، سيدة غيلمور، أهلا يا سارة."

وأخذت تمسح يديها في الثوب الغضاض الأزرق الذي كانت تلبسه فوق ملابسها، وقالت:

"أرجو ألا أكون قد تجرأت بعض الشيء يا سيدة غيلمور. لكنني انتهيت للتو من القيام بشيء من ترتيب المنزل."

وتزددت راشيل، ثم قالت بلهجة أكثر حدة:

"كيف دخلت هنا، يا سيدة تالبوت؟"

وهزت مديرة المنزل كتفيها، وقالت:

"ترك لي السيد مفتاحا."

"صحيح؟"

وأخذت راشيل تفك أزرار سترتها الناعمة، وخلعتها، ووضعتها على ظهر كرسي، وأيقنت أن السيدة تالبوت لم يكن لها ذنب في الموضوع، ولكن ذلك لم يكن يهون من الواقع.

واتجهت إلى سارة وبدأت تعاونها على خلع السترة الفرائية، وجاءت السيدة تالبوت تقول:

"هل أعد لك فنجانا من الشاي؟"

ونصبت راشيل قائمتها، ثم تنهدت بشيء من الاستسلام، وقالت:

"ولم لا؟"

ونظرت سارة باستغراب إلى أمها عندما انصرفت السيدة تالبوت لتعد الشاي وقالت:

"لماذا هي هنا؟"

وسقطت راشيل ابتسامة، وقالت:

"جاءت لتساعدني في أعمال المنزل، هيا اغسلي يديك بسرعة، أعتقد أنك تحبين أن تأكلي بسكوته وشيئا من الحليب."

وبادت سارة بالموافقة، وهزلت إلى الحمام بينما انصبت راشيل ما بقي لديها من رباطة جأش، واتجهت إلى حجرة السيدة تالبوت، تهتم بسكب الماء المغلي في براد الحليب، وقالت راشيل بهدوء:

"... انني آسفة إذا كنت قد أبديت بعض الخشونة، حسبي لم أكن أعلم أن جيمس يملك مفتاحا للشقة."

سقطت السيدة تالبوت صب الماء المغلي، وقالت:

"حسنا، يا سيدة غيلمور، فهمت أنك لم تكوني تعرفين بسائر الحقائق التي وضعها السيد كنفدوم ولكنه قال إنه أخبرك في البيت هنا عندما تكون سارة في المستشفى."

سقطت راشيل نفسا عميقا، وقالت:

"... نعم ذلك، ولكن كيف عرفت أن سارة ستدخل المستشفى؟"

سقطت السيدة كنفدوم من مستشفى سانت ماثيوز قبل أن تسلم.

وبادت راشيل بالموافقة، وقالت:

"طبع ... لا بد أن يفعل ... أوه ... حسنا ... ان علينا أن ننتظر."

وبادت على السيدة تالبوت أنها أحست بشيء من الارتياح، ونصبت لي مكان نومي، يا سيدة غيلمور، فساذهب إلى حجري وأتركك في سلام."

وهزت راشيل رأسها، وقالت:

"... لا تكوني بلهاء، لا بد أن نتناول الطعام معا، وأعتقد أن تفضلين مشاهدة التلفزيون على أن تقيمي في غرفتك طوال الليل."

وابتسمت السيدة تالبوت عندئذ وقالت:

"... مانع لدي من ذلك ... ولكن لا تشغلي نفسك بي ... فاذا كنت الخروج أو زيارة الأصدقاء ..."

وبادت راشيل حتى لا ترى المرأة الأكبر وجهها، وقالت:

"... انتسمت السيدة تالبوت عندئذ وقالت:

"... مانع لدي من ذلك ... ولكن لا تشغلي نفسك بي ... فاذا كنت الخروج أو زيارة الأصدقاء ..."

وبادت راشيل حتى لا ترى المرأة الأكبر وجهها، وقالت:

"ليس لي أصدقاء في لندن يا سيدة تالبوت".

ودق جرس الهاتف بينما كانت راشيل تساعد سارة، وهي تضع بعض مقتنياتها في حقيبة السفر المصنوعة من القماش، وكانت تالبوت في غرفة الجلوس، ولذلك أجابته وجاءت إلى باب غرفة نوم سارة، بشيء من الدهشة، وقالت في أدب: "أنت السيد جويل كنغدوم، يا سيدة غيلمور، هل تردين على المكالمة؟"

واحمر وجه راشيل، كانت عندما سمعت الجرس يدق تظن أن المتكلم إما أن يكون جيمس أو سكرتيرته. ولكن ماذا كان يريد جويل؟ هل اكتشف بطريقة ما أن سارة ستحضي الليلة في المستشفى؟ أم أنه اكتشف السبب الحقيقي لزواجها من جيمس؟ كان من الصعب عليها أن تنهض على قدميها وتسلق كما لو أن شيئاً عادياً أن يطلبها ابن زوجها على الهاتف. وسارت راشيل بسرعة إلى غرفة الجلوس تاركة السيدة تالبوت مع سارة، ورفعت السماعة، وقالت: "نعم؟"

وكان صوتها ينم عن اضطرابها، ورد جويل:

"آسف! لم أكن أعرف أن معك كلباً للحراسة".

وتجاهلت راشيل لهجته الساخرة، وقالت:

"ماذا تريد، يا جويل؟"

"أريد أن أتحدث معك، يا راشيل! كنت سأقترح أن أحضر إليك بعد أن تنام سارة، ولكن يبدو أن ذلك مستحيل الآن (وصمت برهة) ومع ذلك فيما أن لديك من يقوم برعاية الطفلة بضفة مستمرة، فإنني أقترح أن نتناول طعام العشاء سوياً".

"لا... أشكر يا جويل!".

وظفطق بلسانه وقال:

"ولكنك لا تستطيعين أن ترفضي اقتراحي هكذا يا راشيل، فلا بد أن نتحدث وإذا أردت أن أحضر إليك...".

وأجابته بئأس:

"أنت تعرف أنه لا يمكنك هذا".

"حسناً... معقول... وإذن ماذا تقترحين؟"

"لا أستطيع أن أقترح شيئاً...".

ونظرت في ضيق خلفها، وأكملت:

"هل يمكنك أن تطيبي غداً، يا جويل؟"

"كذا؟ هل سيكون كلب الحراسة قد انصرف عنذته؟"

"نوف تتركنا السيدة تالبوت صباح الغد...".

"يكون هذا إضاعة لأحدى الفرص؟"

"أستطيع أن أراك الليلة...".

"كنت تصممين (وسكت لحظة)، إذن فأنني أدعوكما أنتما...".

"حسن غداً على وجبة الظهيرة...".

"أعرف، يا جويل!".

"سأحضر الحادية عشرة والنصف، يا راشيل...".

"بشيء من التصلب...".

"سوف أطلبك على الهاتف...".

سمع السماعة، وأعدت راشيل السماعة إلى موضعها، ثم عدت إلى الهاتف ثوان، ثم قفلت راجعة إلى غرفة نوم سارة، وهي تتنهد. كان شيئاً شديد الإيلام لراشيل دائماً أن تترك سارة في المستشفى وعلى الأخص في هذه المرة، إذ كانت كل الممرضات غريبات عليها، وكانت سارة تبدو ضعيفة جداً في سرير المستشفى العالي الذي كان يعتبر الماكينة التي حفظت لها حياتها طوال الشهور الستة الأخيرة، وكأنه يمسك عليها كمصاصي ضخم للدماء. ولكن ذلك التشبيه لم يجر عادلاً، فالواقع أن سارة هي التي كانت تأخذ دماء راشيل من الآلة. ورجعت راشيل بعد ذلك إلى الشقة تسير على قدميها وهي غير راغبة في أن تتواجد مع السيدة تالبوت. وتمنت لو كانت تملك سيارة تقودها خارج المدينة بعيداً من الشقة التي تجسد بقسوة فكرة ارتباطها بجيمس.

كانت تقرب من الشارع الصغير حيث يقع بيتها ومرت على سيارة سبور خضراء قاتمة توقفت فجأة أمامها، ثم انزلت من السيارة عندما وجدت النافذة القريبة منها تنزل إلى الشارع. وجدت نفسها تطالع ملامح أريكا غراي، ولم تندم من أن تترك سارة في المستشفى. وخرج منه رجل، هو السيد كنغدوم، ودار حول السيارة متجها إليها، كان وجهه متعباً ومضطرباً. وسألها باقتصاب:

"هل يمكن يا للشيطان- بالتجوال في الشارع في هذا...

كان جذابا يميل الى السمرة، يرتدي بذلة عشاء من المخمل الأحمر الداكن. واعتري راشيل نوعا من الانزعاج، وقالت في شيء من الدفاع عن النفس:

"الوقت ليس متأخرا بعد... ثم إن هذا أمر لا يعنيك".
ونظرا لأن جويل كان يدرك أن أريكا تستطيع أن تسمع كل كلمة يقولونها اكتفى بزم شفاهه، ولكن عينيه كانتا تتوعدان المحاسبة فيما بعد وقال:

"اصعدي الى السيارة، سنوصلك الى البيت".
وأجابت في شيء من التوتر:

"أشكرك، لم يبق لي سوى ياردات قليلة".
وعندما أدركت أن أريكا تشعر بشيء من الغضب أكملت:
"كان الجو جميلا في المساء، وأخست برغبة في المشي".
طبعت مساء... طبعت مساء يا آنسة غراي".
وتقوس أصابع جويل حول زندها ليمنعها من التحرك، وقال:

"انتظري!".
كان قد اقترب أكثر منها، وكان يوسع راشيل أن تحس بدقات قلبها في أذنيها، ومست أصابعها قماش سترته الناعم، واخترقت عيناها الجريئتان الثاقبتان عينيها، وقال:

"هل أكلت؟"
وحاولت راشيل أن تومئ برأسها:

"نعم، بالطبع".
وجذبت عينيها بعيدا عن وجهه، وقالت:

"هل يمكن أن أنصرف الآن؟"
وشدد جويل ضغط أصابعه على ذراعها عن عمد. وأخيرا وبإشارة تنم عن السخرية، تركها تنصرف، ورجع الى السيارة وقال:

"سوف ننتظر حتى تدخل المبنى".
وأسرعت راشيل حول ناصية الطريق، ودخلت المبنى وكانت على وشك أن تبكي بغياء، وحاولت أن تقنع نفسها بأن ذلك نتيجة لقسوته المتعمدة، لكن التعذيب الداخلي الذي تشعر به كان شيئا أكبر بكثير من الألم الجسدي. وحدثت نفسها بمرارة. كان يعتقد أن بإمكانه أن يخرج من الموقف بأي شيء وكان على الأغلب يحصل على ذلك الشيء.

وحاولت أن تنشق أنفاسا مهدئة، ثم بدأت تصعد الدرج الى طابقها. وكان من الخير أن عادت الى شقتها في ذلك الوقت، بعد أن جرس الهاتف بعد أن دخلت الشقة بدقائق قليلة، كان المتحدث هذه المرة هو جيمس كنفدوم وقال:

"حضرت أنك لن تتغيبي كثيرا. هل استراحت سارة في سريرها؟"
"نعم، كيف حالك؟"

"إني بخير، ومشغول جدا بالطبع. هل حضرت اليك السيدة تالبوت؟"

"كنت السيدة تالبوت تشاهد البرنامج التلفزيوني في كرنال آخر من الغرفة، وقالت:

"نعم... هي هنا".

"مساء، فانا لا أحب أن أفكر أنك وحيدة في الشقة".
سكت راشيل بجفاف:

"سارة لا تصلح حارسا".

بكن من وجهة نظر جيمس ربما كانت سارة بالفعل حارسا في بعض الأوقات، والأمر يتوقف على ما يريد المرء أن يعرف، وأجاب:

"لكنني ظننت أنك تقلقين عليها أكثر إذا كنت وحدك".

"نعم، وكأنها تريد أن تغير الموضوع".
سكت جيمس لحظة، ثم أجاب:

"لكنني أعتقد. لماذا؟ هل اشتقت الي؟"

سكت راشيل مرة أخرى تجاه السيدة تالبوت، وبدأ صوتها في الصرخة، وهي تقول:

"نعم".

"أراد أن يستثيرها فقال:

"نظاهري بأنك متحمسة لهذه الدرجة بهذا الخصوص. هل السيدة تالبوت معك؟"

"سقطت راشيل شيئا من الاسترخاء، وقالت:

"نعم، إننا نرقب البرنامج التلفزيوني".

"سكت بشيء من التردد:

"أفهم، هل رأيت جويل؟"

وفقدت شعورها بالاسترخاء، وتصلبت أصابعها حول السماعة، وفكرت في شيء من الغيظ: لا بد أنه تحدث بالطبع مع سكرتيرته خلال اليومين الماضيين، وأجابت في حرص: "نعم، رأيته".

"متى؟"

"ألا تعلم؟ لقد جاء إلى 'الصالون الرمادي' ليزور السيدة

غراي بينما كنا هناك..."

"صحيح! ماذا كان يريد؟"

وكزت راشيل على شفتيها السفلى بشيء من الألم، وقالت:

"قلت لك إنه حضر لزيارة الآنسة غراي".

وساد صمت ثم قال جيمس:

"أمل ألا تخبري جويل بشيء عن مرض سارة".

"ولماذا أخبره؟"

"فعلا، لماذا؟ انك تعلمين بالعلاقة بينه وبين أريكا غراي

الآن! أليس كذلك؟"

ولعقت راشيل شفتيها، وقالت:

"لا أعتقد أن هذه المسائل تعنيني".

وأبدى الموافقة قائلاً:

"لا، ربما لا! أعتقد أنك تعرفين تماماً طبيعة ابني، وتعرفين

ما يريد من أية امرأة".

"لا داعي لأن تشرح لي يا جيمس، أنا لست بلهاء تماماً".

"لا يا عزيزتي، غير أنني أشعر أنه من واجبي أن أهتمك

(وسكت لحظة) والآن ولأسباب أخرى أكثر أهمية، قررت أن

من الخير أن نعلن خطوبتنا الرسمية قبل، قبل عملية سارة".

وصدمت راشيل للنبا، وقالت:

"قبل؟"

وأجاب جيمس بما ينم عن أعمال الفكر:

"نعم، وفي أية حال فانك كخطيبة لجيمس كنتغدوم سوف

تحصلين على ميزات معينة، بل إن الأمر يبدو لي أنه الترتيب

الأكثر ملاءمة من زوايا متعددة. فنحن لا نريد أن يظل هذا

الأمر سرا يا راشيل، وهناك بعض الإجراءات الرسمية ينبغي

أن أقوم بها. وفكرت أن نعقد اجتماعا بسيطا في أي مكان

وليكن فندقا مثلاً، وتعلن الخطوبة رسميا بعد حفل عشاء، ما

"أفهم، هل رأيت جويل؟"

وكان في ذلك على الأقل شيء كبير من الحقيقة. ثم أضاف:

"لقد لم تقل جويل وفرنسيس لفكرة إتمام هذا الزواج في

يوم آخر حيث أكثر ارتياحا لذلك، وعندما تصل سارة إلى

الصالون التي تستطيع فيها أن تحتفل السفر نقيم حفل زواج

عظيم. قبل أن نساغر إلى لياركوس".

وكان قد مضى على راشيل فترة طويلة ظلت فيها صامتة،

عندما قال:

"راشيل".

وكان عليها أن تجد شيئا ترد به بسرعة، وقالت ببطء:

"ما كان هذا هو ما تريد؟"

وسألها بحدّة:

"أليس هو ما تريدينه أنت أيضا؟"

وأصرت تطمئنه:

"أليس فقط أفكر في مقابلة كل أصدقائك ومعارفك. ترى ماذا

سترون رأيهم في؟"

واضعت نغمة القلق القصيرة من صوته، وقال:

"يا عزيزتي... سيصاب الجميع بالدوار من الحسد. هل

تستطيع بعض الملابس من صالون أريكا؟"

وهذات راشيل من صوته، وقالت:

"أليس؟ لم يكن لدي أدنى فكرة أن امرأة واحدة يمكن أن

تستغل تلك الملابس".

وهو أنه قد سر بذلك، وقال:

"سوف أراك تلبسينها، هل تقابلينني في المطار عند

يومتي؟"

وأجبت تحب أن أفعل ذلك".

وأعاد:

وتشهد بشيء من الأسف وقال:

"الآن علي أن أنصرف... إنني أتكلم من بيت السيد هارتز

وهو أحد المندوبين في المؤتمر الذي أحضره، ولست على ثقة

من أنه سوف يرحب بهذه المكالمة على قائمة الحساب... بلغي

سارة حبي عندها ترينها في الغد، وأخبريها أنني سأحضر لها

هدية خاصة".

كانت راشيل تتمنى لو كان شعورها بالعرفان أكثر عمقا وهي تضع السماعة، وبرغم كل شيء فإن نساء كثيرات يمكن أن يجدن فيها على فرصة الزواج من أحد كبار الأثرياء في لندن. ولماذا إذا كانت تشعر باستمرار بأنها أشبه بالفار الصغير الذي وقع بين مخالف قط؟ وخطر لها أن ما يطلبه منها يعتبر شيئا تافها إذا ما كان يعنيه بالنسبة إلى سارة هو الفارق بين الحياة والموت.

وانصرفت تاليوت صباح اليوم التالي بعد التاسعة بقليل، وشعرت راشيل بالارتياح لذلك، إذ كانت تخشى حرج الوقوع في البحث عن عذر لقدوم جويل إلى الشقة، وقررت أنه عندما يصل جويل فسوف تصارحه بكل شيء حدث، كل شيء.

وذهبت إلى المستشفى لتحضر سارة، التي سألتها وهما تسيران في طريق العودة إلى الشقة تحت شمس غائمة:

"ماذا سنفعل يا أمي؟ أعتقد أن اليوم سيكون يوما جميلا، هل نمضي بعض الوقت في استطلاع المعالم السياحية مرة أخرى؟"

وتنهدت راشيل، وقالت في شيء من التردد:

"الحقيقة أن السيد كنفدوم سوف يحضر لاصطحابنا إلى الغداء، وشعرت بشيء من وخز الضمير عندما نظقت سارة: "جويل؟ هو؟ بحق هو؟ أين يصطحبنا؟ هل تظنين أنه ربما يأخذنا إلى شاطئ البحر؟"

وقالت راشيل بوهن:

"لا أعتقد ذلك، فالجو شديد البرودة."

"إنه ليس باردا على الإطلاق."

وأجابت راشيل:

"حسنا، ولكنه لا يسمح بالذهاب إلى شاطئ البحر."

وشعرت بالضعف عندما رأت وجه سارة يعكس القنوط مرة أخرى، وقالت:

"لننتظر ونرى، أخكي لي عن المستشفى، هل كان كل شخص هناك رقيقا معك؟"

وأدركها جويل بعد الحادية عشرة بقليل، حين كانت راشيل تشارك سارة في احتساء كوب الحليب الذي تعودته في فترة الصباح. وكانت للتو قد خلعت الديابيس من شعرها وعلى وشك أن تمشطه عندما دق جرس الباب.

وذهبت سارة لتري من الطارق بينما شغلت راشيل بتثبيت شعرها ولكن يديها كانتا ترتعشان بسبب العجلة. كان جويل يلبس في ذلك الصباح بذلة زرقاء من قمماش قطني متين لها سترة قصيرة فوق قميص باللون الأزرق الفاتح دون ياقة. وومضت عيناه على سروالها الأخضر وقميصها القرمزي، ثم ضاقتا عندما استقرتا على شعرها بجماله الخسي القامض. وقال بصوت أجش:

"لا تلفيه إلى أعلى هكذا، أتركه طليقا."

ولكن راشيل استدارت بعيدا، وقالت:

"إنه طويل بدرجة لا تسمح أن أتركه طليقا."

وواصلت تثبيتته في التسريحة المعقودة على مؤخرة عنقها.

وقالت سارة في صوت صغير:

"ماذا قالت أنك ستصطحبنا إلى الغداء؟"

وبعد أن تردد لحظة التفت جويل إلى الطفلة، وانحنى عليها، ورفعها إلى أعلى بين ذراعيه وهو يتنسم في عينيها وقال:

"نعم سأفعل."

قالها وهو يبدي علامة الموافقة، وأضاف:

"يا لله! إنك كتلة ثقيلة! كم وزنك؟ نصف طن؟"

وضحكت ضحكة خفيفة فيها شيء من السذاجة، وقالت:

"لا! إن وزني ٢٨ ليبرة فقط. أعرف ذلك لأن الطبيب لوريمر قال ذلك."

"الطبيب لوريمر؟"

قالها جويل بغضب.

"ومن يكون الطبيب لوريمر؟"

ونظرت راشيل إليه نظرة توسل، وقالت:

"جويل؟"

"هل قلت شيئا خاطئا؟"

"لا داعي لأن تسأل الطفلة."

"ولكن الإنسان يسأل الطفلة إذا لم يجد الأجابات في أماكن أخرى."

"سأجيب عن أسئلتك."

"صحيح... ستفعلين؟"

والتوت شفتا جويل.

"وماذا عن... لماذا تتزوجين أبي؟ إذن..."

وتغصن فم سارة، وقالت:

"أوه! لماذا تتجادلان ثانية؟ انكما دائما تتجادلان! قلتما انكما أصدقاء..."

وتنهذ جويل، وتخلصت ملامحه من التوتر:
"نحن أصدقاء..."

وطمأنها برفق وأضاف:

"والآن... هل أنت مستعدة؟"

كانت سارة قد ذهبت الى الحمام وأكملت راشيل تثبيت شعرها، وليست السترة الجلدية القصيرة التي كانت أحضرتها مع السروال، وكانت تتجنب عيني جويل، ولكن صوته كان أسرا، وهو يقول:

"إنني مصمم على أن أكتشف، بالوسائل المشروعة وبغير المشروعة..."

ورفعت راشيل عينيها اليه، وقالت:

"وهذه الأخيرة تعرف منها الكثير، الوسائل غير المشروعة..."

وهرك جويل رأسه ببطء من جانب الى آخر، وقد سيطر عليه شعور بالحيرة، وقال:

"إنك تستمتعين بسوق مثل هذه الاتهامات الي... ما الذي تستفيدينه من ذلك؟ هل تشعيرين بالارتياح عندما توبخيني لأنك تعرفين تماما أنك في مأمن كامل... طالما سارة معنا؟" وحاولت راشيل أن تهز كتفيها بشيء من اللامبالاة، وقالت:

"إنني أقول فقط ما أحس به..."

"ولا تقيمين وزنا للنتائج؟"

وسأله بقسوة:

"هل تنكر أنك تستحق الاتهامات التي أوجهها اليك؟"

"ليس كثيرا..."

"إنك تعتقد أنك ذكي للغاية؟"

ورد عليها في رفق:

"لنقل إنني لا أظن أنك انت ذكية للغاية..."

"أعتقد أنك لست في وضع يسمح بإصدار مثل هذا الحكم..."

"ربما لا، ولكن توجد نقاط أخرى عديدة حول هذا الموضوع

ما زالت لا توصل الى النتائج، ولكنها ستوصل الى النتائج بهرور الوقت..."

"لا ينبغي لي أن أعتمد على ذلك..."

"ولكنني أقول هذا، انني أعتمد على ذلك كثيرا جدا..."

(ولم تكن الابتسامة التي لترسم على وجهه تدل على الابتهاج وأضاف):

"وسوف تقومين أنت بتقديم الإجابة لي..."

"أليس كذلك؟"

وكورت راشيل قبضتي يديها، وقالت:

"لم لا تسأل أباك لماذا يتزوجني؟"

"هل تعتقدين أنني لم أسأله؟"

وسألت بارتعاش:

"وماذا قال؟"

"ولماذا أخبرك بذلك؟ انني أريد أن أعرف القصة من وجهة نظرك أنت..."

وقالت راشيل وهي تعبت بأزرار معطفها:

"لا أعتقد أنه أخبرك بشيء، ولو أنه فعل لما كان لك هذا

الاهتمام بالسؤال عن دوافعي..."

وحنى جويل رأسه، وقال:

"حسنا، انني أسلم لك بهذه النقطة، ولكن من الواضح على

الأقل بالنسبة الى شخص له أخلاق كأخلاقي أن الحب لا دخل

له في هذا الموضوع..."

"أنك لا تعرف ذلك..."

"أنا لا أعرف ذلك؟ إذن لماذا لم تقولي لي هذا الكلام منذ

البداية..."

وتقوست شفتاه بشيء من الاحتقار وأضاف:

"أوه، يا راشيل، إنك لا تحبين أبي، ربما تحبين نقوده،

ولكنك لا تحبين أبي..."

وصففته على وجهه صفة شديدة قبل أن يكمل الكلام،

ولكنه لم يحاول أن يمنعها، واكتفى بأن ابتسم، ثم حول

صدقتي عينيها الى نقطة أخرى وراءها، وقال:

"هل أنت مستعدة يا سارة؟"

"حسنا... فلنذهب إذن!"

لم تكن راشيل تتذكر كيف جمعت حقيبتها، وسترة

سارة، وتبعتهما بعد ذلك، كانت تبدو وكأنها مخدرة بدرجة كبيرة، وكان النهار لا يزال ممتدا مفعما بالبرودة، وكانت سارة تجلس في المقعد الخلفي وكان عليها أن تجلس الى جانب جويل في مقدمة السيارة ولم يكن أمامها خيار ا

فراشة الخبة

٧ - السر يباح

كانت راشيل تجلس في قاعة الانتظار تنتظر بشيء من القلق عودة سارة وجويل، وقد مضى على رحيلهما لزيارة مبنى الاهلي أكثر من نصف ساعة، وبدأت تشعر بالضجر وهي تحاول أن تتجنب النظرات الجريئة من شابين يجلسان في جانب القاعة، ولكن عندما اقترحت سارة في أول الأمر أن تجرب لعبة الكرة والدبابيس، كانت راشيل راغبة في أن تبقى حيث هي، وبذلك تجد وقتا تستعيد فيه رباطة جأشها، وكان طريق الشاطئ الذي يقع خلف توافذ الفندق يبدو مهجورا، والضباب يتعرج على شكل حلزوني حول أشجار الزينة وحول الشجيرات في حديقة الفندق مما جعل الجميع يهرعون الى الداخل.

وعندما استفسرت سارة اذا كان بالإمكان أن يذهبوا الى شاطئ البحر، استغل جويل فرصة صخبها بالابتهاج بذلك المناسبة ليسأل راشيل اذا كان لديها أي اعتراض.

ولكن راشيل أجابت أن "لا فرق"، وأن كل الأماكن سواء، وبعد ذلك لم يبدل أية محاولة ليشدها الى الحديث الدائر بينهما وبين سارة، وكانت راشيل تعجب حقا من الطريقة التي تثرثر بها مع جويل، فقد كانت تضحك وتبادل الفكاهات معه وتساله أسئلة لا تجرؤ راشيل ذاتها أن تسألها، وجعلها ذلك تفكر بامعان فيما إذا كانت علاقة الدم هي التي جعلت ذلك ممكنا.

اتجهت السيارة بهم صوب الجنوب، واعتقدت راشيل أنه يقصد برايتون، وكان الصباح صباح ربيع مشرق في لندن، ولو كان وقتا آخر لتطلعت الى مشية رشيقة على الشاطئ بعدما تناولت وجبة الظهيرة، ولكن نظرا للظروف المحيطة فإن الفرض لم تكن مشجعة، وزاد من اكتئابها أن برايتون تبدو غارقة في نوع من اضطراب البحر والرطوبة، جعلت النزهة على الشاطئ شيئا مستحيلا.

وصلوا قبيل الواحدة ظهرا بقليل، ولكي يبعد جويل عن سارة
الشعور بالاحتياط وعدها بأن يأخذها إلى مبنى الملاهي بعد
وجبة الغذاء.

وأبدي الجميع إعجابهم بالطعام، وحتى راشيل رغم أنها لم
تستطع أن تأكل شيئا، وكان جويل يركز على سارة التي أكلت
وجبة شهية وكانت سعادتها واضحة، وشربوا القهوة في قاعة
الانتظار، وهنا بدأت سارة تلح في زيارة مبنى الجلاهي،
ووجدت راشيل العذر لعدم الذهاب معهما، أما سارة فكانت
سعيدة تماما لذهابها مع جويل، ولكن راشيل الآن تتمنى لو
ذهبت معهما، ولم يكن باستطاعتها أن تبقى في قاعة
الانتظار بالفندق، كما لم تكن لديها رغبة خاصة للخروج في
الهواء البارد الرطب.

ونهضت ووضعت حزام حقيبتها الجلدي على كتفها، وخطر
لها أن تسير على شاطئ البحر مسافة قصيرة فلربما وجدت
مبنى مدينة الألعاب.

وخرجت إلى ردهة الاستقبال متجاهلة العيون العديدة التي
تتبع سيرها، وبدأت تهبط الدرج، وترددت قبل أن تبارح
الفندق.

وجاء صوت غريب من خلف أذنها يقول: لا ينبغي أن أشغل
نفسي بأمره! واستدارت لتواجه واحدا من الرجال الذين كانوا
يرقبونها، وقالت في شيء من الصلابة:
"عفوا، ماذا تريد؟"

زوجك! الشخص الذي مضى مع الفتاة الصغيرة، لا ينبغي أن
أشغل نفسي بأمره."
"أعتقد أنك مخطيء."

"لا! هو المخطيء يا حبيبتي، كيف يترك زهرة جميلة مثلك؟
ما الذي حدث؟ هل تشاجرتما؟"

ونظرت راشيل حولها تطلب النجدة، ولكنها كانت قد
ابتعدت عن الفندق، ولم يكن هناك من يستجيب لنداء
الاستغاثة، وقالت:

"أرجوك أن تنصرف، وتركني لهالي، إن زوجي وابنتي
قادمان الآن."
"حقا؟ لا يبدو ذلك."
"انصرف عني!"

كانت أنفاس راشيل قد بدأت تضطرب، ولم يكن حدث لها
مثل ذلك من قبل.

"تعالى... واشربي كأسا معي ومع صديقي. لن تجدي
إنسانا في هذا الضباب."
"إذا لم تنصرف!"

وسمع صوت يقول:
"راشيل!"

كان صوت جويل موضع ترحيب كامل من راشيل. كان يخطو
بخطوات واسعة خلال الحديقة، بينما سارة تجد في أثره،
وجرت راشيل لتقابلته وألقت بنفسها بين ذراعيه وهي ترتعد
ثم دفعها بيديه، وأخذ يسأل:

"ما الخبر؟ ماذا كان ذلك الرجل يقول لك؟"
واستعادت راشيل هدوءها، وقالت:
"أوه... أوه... لا شيء."

ونظرت وراءها، ولكن الرجل كان قد اختفى وعندئذ أخذت
سارة تشد بقوة يد أمها:

"قابلنا ذلك الرجل صديق جويل، وهو يمتلك هذا القارب، وقال
إذا حضرت في يوم آخر لا يكون فيه ضباب فسوف يأخذني في
القارب. ممكن يا مامي؟ ممكن؟"

وقال جويل، وهو يهز رأسه:

"ليس الآن يا سارة... ماها الآن تعاني من ضربة بسيطة."
وأدار بصره إلى راشيل.

"هل دخل الفندق، ذلك الرجل الذي كان يتحرش بك، هل أجد
في أثره؟"

وهزت رأسها بسرعة، وقالت:

"أوه! لا... لا... هو لم يتحرش بي حقيقة. كان فقط
يستظرف نفسه على ما أعتقد، وقضلا عن ذلك فانهما في
الحقيقة رحلان في الفندق."

كان فم جويل متجهما، وقال:

"هل تقولين ذلك لتخيفيني؟ أم أنك تخشين أن يصيبني
بعض الأذى؟"

وحركت راشيل كتفها وتمتمت:

"بعض من هذا وبعض من ذاك، على ما أعتقد!"
وتردد جويل لحظة، وقال:

"هيا... لنبحث عن مكان نشرب فيه الشاي، وبعدئذ نعود إلى المدينة".

كانت رحلة العودة إلى لندن بالنسبة إلى راشيل أكثر إمتاعاً، واستطاع جويل أن يجعل من شخصه صحبة مسلية، وكانت سارة تشعر بسعادة غامرة لأن أمها الآن تشارك في الحديث. ولكن سارة غلبها النعاس في المقعد الخلفي للسيارة، وقال جويل:

"لم يكن اليوم ناجحاً للغاية؟"

ونظرت راشيل إليه شرراً وقالت:

"كيف؟"

"أخذتكما إلى برايتون وكنت أعتقد أنه بإمكاننا أن نجد بعض الوقت للحديث... ولكن لم تسر الأمور وفق تقديري..."

ودمدمت راشيل:

"ولم تكن البداية طيبة كذلك..."

وعلق:

"وتعتقدين أنني المسؤول عن ذلك؟"

"لم أقل هذا! "

"هل تعترفين إذن أن تحدثني إلى؟"

"السنا نتحدث الآن؟"

"لا... إننا نتبادل الكلمات فقط..."

"أوه! يا جويل! لماذا تصر دائماً على أن تجعل الحياة صعبة؟"

لماذا لا تقبل أنني سأزوج أباك..."

"لا أستطيع أن أقبل ذلك..."

"يجب أن تقبله..."

"راشيل، إن سارة ابنتي... إنها لحيي ودمي..."

وتفوسست أصابع راشيل، وقالت:

"إن لك عملك وحياتك، يا جويل، وهذا ما تخرص عليه..."

"كنت أظن أن ذلك كل ما أريد..."

وهزت رأسها في يأس، وقالت:

"هل أنت متأكد من أن الأناثية ليست الدافع الوحيد وراء اهتمامك؟"

وتصلبت أصابعه على عجلة القيادة، وقال:

"إنني أتركك توجهين إلي كلاً ما كثيراً يا راشيل، ولا

يمكن لشخص آخر أن يتجراً على جزء مما تفعله..."

وأدارت راشيل رأسها، وصارت تحديق بلا غاية. وقالت:

"لست أطلب تسامحك أو تساهلك..."

وأخذ جويل يسب برفق:

"لا... ألا تستطيعين أن تلتقي معي على منتصف الطريق؟"

"لا توجد علامة تحدد منتصف الطريق فيما بيننا..."

ودمدم في صوت أجش:

"أعتقد أنك لست أقل احتراماً لي في داخل نفسك..."

واحمر وجهها، وقالت:

"لا أعتقد أن تبادل السباب يمكن أن يؤدي بنا إلى أي

تقدم..."

"إنني لا أسبك... إنني فقط أذكر الحقائق..."

"ما الفائدة التي ترجى من إثارة هذا الآن؟"

"ولم لا؟ كان من حقني أن أعتبر هذه نقطة جوهرية تماماً في

الموضوع..."

وصاحت في غضب:

"فقط لأنني أخذت على غرة عندما جذبتني... وهذا لا يعني

أنني أحتفظ بعاطفة يائسة نحوك... ومن الغريب أنني لا

أستطيع مقاومتك..."

وساد صمت كامل، وعندما جازفت بالنظر إليه مرة ثانية

أحسست إحساساً سخيلاً بالندم عندما رأت خطوط المعاناة التي

ترتسم على قمه..."

وأوقف جويل السيارة أمام مدخل المبنى حيث تسكنان،

وقطبت سارة وجهها عندما رأت أن أمها فقط تستعد للنزول

وأخذت ببراءة تدعو جويل:

"ألا تنوي أن تأتي معنا، يا جويل؟"

وتبادلت راشيل معه نظرات سريعة وعززت الدعوة بشيء

من الحرج:

"نعم، تفضل، سوف نشرب الشاي وتتناول بعض الشطائر إذا

كنت تقبل ذلك..."

وتردد جويل بعض الشيء، وكانت أصابعه لا تزال حول

عجلة القيادة، وسأل:

"وماذا عن السيدة تاليوت؟ ألا تجد في ذلك شيئاً من

الغريبة؟"

وأجابت سارة:

"السيدة تالوت ليست هنا، انصرفت هذا الصباح، أقامت مع ماما الليلة الماضية عندما كنت أنا في المستشفى."

وخرجت راشيل من السيارة، لكن جويل كان سبقها إلى ذلك، وأغلق بابها بالمفتاح، كما أغلق بابها. ورفع سارة على كتفيه وقال لها:

"إذن كنت في المستشفى الليلة الفائتة، يا عزيزتي. ماما لم تقل شيئا عن ذلك."

واستقلا المصعد إلى الشقة، وظل رأس راشيل مطأطأ تخشى اللحظة التي تخبر فيها جويل بالحقيقة. إذ كانت تحس أنه قد آن الأوان لذلك.

وحدث الله أنه لم يثر الموضوع بعدما دخلوا الشقة مباشرة، بل استرخى على الأريكة، وصار يبدي إعجابه باللعب التي كانت سارة تحضرها له لينفجر عليها، وفي النهاية استجاب لطلبها ورسم صورة كاملة لها وهي تلعب مع هيلغا ولعبها الأخرى، وقالت لراشيل أنها صورتها المطابقة لها تماما.

زاد الجوع من شهيتها للطعام، ورفضت أن تفكر في أي شيء آخر. وحلست كسلا على الطرف الآخر من المائدة بعد أن خلع سترة القطنية. وكلما وقعت عيناها في عينيها كانتا تحذرانها بأنه لم ينته بعد الموضوع معها. وبعد أن احتسى فنجانا ثانيا:

"كان الطعم"

ونظر إلى سارة وقال:

"ما رأيك في هذا؟"
من ماما؟
حسنا.

وكان هذا شيئا جديدا بالنسبة إلى سارة التي لم يسبق لها أن أهدت بأنها عضو في أسرة.
"ولكن هل أستطيع أن أأكل؟"

كانت راشيل تجلس خلفه هي غرفة الجلوس بينما جويل وسارة يغسلان الأواني، وكانت تسمع سارة وهي تطرطش في الماء وتضحك سداخة من الكلام الذي يقوله جويل. وخطر لها لماذا لا تستجيب سارة لجيمس الدرجة نفسها. لكن جيمس

لم يسبق أن لاعبها أبدا. كان يتكلم معها بالطبع، ويهتم بشؤونها، ويحضر لها أشياء كثيرة، لكن لم تكن بينهما العلاقة التي من الواضح أنها قد وجدت بين سارة و... أبيها. وعندما رجعا إلى غرفة الجلوس كان وجه سارة يعكس بعض الضيق، وقالت:

"سترتي كلها ابتلت... يا ماما."

وعلق جويل باختصار:

"أسف! إنها غلطتي، سوف تجف."

كانت عيناها تتحدیان راشيل، ولم تستطع من جانبها أن تتحمل نظراته القاسية، وقالت تطمئن الصغيرة في شيء من التسرع:

"لا بأس... يا سارة. يمكنك أن تخلعي كل ثيابك الآن، وسوف أعاونك على الاستحمام."

وصاحت سارة في الحال:

"هل يمكن أن ينوب عنك جويل في ذلك؟"

وزفرت راشيل وقالت:

"لا، يا سارة، سوف أقوم أنا بذلك."

وقال:

"ما الحكاية يا راشيل؟ هل تخشين أن أرى آثار آلة نقل الدم... هذه هي علتها... أليس كذلك؟ مرض الكلية؟"

كانت سارة تريد كويا من الحليب لوجبة العشاء، وذهبت إلى غرفة الجلوس لتقول "تصبح على خير" لجويل، وسألته:

"هل ستأتي لتغطيني في الفراش؟"

كانت تبدو صغيرة ومتوسلة في بيجامتها القطنية الممزقة بقضبان النبات، وكانت راشيل ترقب وجه جويل، وتعجبت:

"هل يمكن أن يتغير شعوره نحو الأطفال؟"

وخطر لعقلها خاطر مخيف، لو أن جويل علم بوجود سارة في ظروف أخرى فربما رغب في أن يتبناها هو وأريكا!

وكان صوتها جافا، وهي تحدث سارة:

"أرجوك أن تسرع يا سارة، فقد تجاوزت الساعة السابعة."

وردت سارة باصرار:

"أريد أن يأتي جويل."

وتنهض جويل، وقال:

"ولم لا؟"

"الى اللقاء، يا حبيبتي".

قالتا بالالمانية، وأردف يقول:

"كما ترين، فإنني أتعلم اللغة".

وأجابت راشيل اجابة مناسبة، والتفتت على مضض لتواجه جويل الذي كان يقف أمام المدفأة، وعلق في سخرية باردة:

"حبيبتي".

قالتا هو الآخر بالالمانية، وأضاف:

"أبي تحول الى عاشق في كبر سنه".

واتجهت راشيل الى النوافذ لجذب السناثر، وهي تقول:

"هل ينبغي أن تكون بغيبضا؟ يخيل الي أنك بعدما اكتشفت نقطة الضعف في سارة تريد أن تستغلها في الاعتراض".

وزفر جويل زفرة ثقيلة، وأجاب في شيء من القوة:

"أعتقد أنه كان من حقي أن أعرف الحقيقة عن حالتها، قلت من قبل إنها تعاني من نقص طفيف في الدم، وكانت تلك إجابة مضلة، سارة تحتاج الى جهاز الكلوية الصناعية، وذلك هو السبب في دخولها المستشفى الليلة الماضية".

واتجهت راشيل اليه، وهي تطوي يديها باحكام:

"حسنا، سأخبرك بالحقيقة، ولدت سارة بنقص طبيعي في كليتيها".

واغتم وجه جويل، وقال:

"استمري".

وبدت راشيل، وكأنها تبحث عن الكلمات، وقالت:

"حسنا... نحن... أنا... لم أكن أعلم في أول الأمر، كانت تبدو طفلة عادية صحية البدن، ولكنها لم تكن تنمو بما يتلاءم مع عمرها. ولم يكن وزنها يزداد بالسرعة المطلوبة. ولكن ذلك يحدث أحيانا مع الكثيرين من الأطفال...".

ونظرا لتهزال جسمها كانت عرضة للعدوى وكان أضعف فيروس يجعل حرارتها ترتفع ويجعلها تعاني من اضطرابات معوية. وأخيرا اكتشفنا العلة الحقيقية...".

واسترخت راشيل بوهن في أحد المقاعد المريحة، وهي تحرق بلا غاية في النار المتوهجة في المدفأة، وحركت كتفيها وقالت:

"فحصها الأطباء والاختصاصيون، وبذلوا كل ما يستطيعون ولكن لم يكن ذلك كافيا على الإطلاق، ومنذ ستة شهور كانت

عاني من حالة عطل كلوي، وعند ذلك بدأت جلسات التنقية بالكلية الصناعية...".

اذ ذاك أخذ جويل يقطع الغرفة جيئة وذهابا بشيء كبير من التوتر، وقال:

"وحتى عندئذ لم تفكري على الإطلاق في أن تطلعينني...".

ونظرت راشيل اليه نظرة تدافع بها عن نفسها، وهي تقول:

"ولماذا أفعل ذلك؟ لم يكن همك... كان همي أنا. فأنا التي قررت أن أحضر سارة الى الوجود...".

"ولكن في مثل تلك الظروف...".

"لم تكن للظروف علاقة بأي شيء... كانت فقط غلطة من غلطات الطبيعة، وربما كان ذلك عقابا على فعلتي...".

ودمدم بوحشية:

"لا تتحدثي بمثل هذا الهراء... ماذا فعلت غير أنك

هجرني؟".

"حسنا، وحتى ذلك... ربما يكون بالموراثية... من المحتمل

أن أبوي أيا كانا...".

"ولسارة أبوان أيضا...".

وصاحب في ارتعاش:

"ولكن شيئا من ذلك لم يحدث في أسرتك... هل حدث؟"

وقطب جويل حاجبيه وهو يكرر:

"ألم يحدث؟"

ونفضت على قدميها من جديد، وصارت تمشي حول مؤخرة

الأريكة، وهي تقول:

"أوه، يا جويل لا تعذبني! حسنا، في أية حال كان ذلك هو

الموقف منذ ستة شهور...".

وقاطعها:

"وأي موقع أبي من كل هذا الذي حدث؟"

"الكولونيل فرنشاو كان يقوم بتصفية ممتلكاته ليذهب ويعيش في الخارج لأسباب صحية... وكان مصرف أبيك

يتولى سائر استثماراته...".

"وإذا حضر أبي ليزور الكولونيل، على ما أعتقد...".

"نعم، كان كل منهما يعرف الآخر منذ سنوات في لندن...".

"يا لها من مصادفة...".

وسألت في حرارة:

"هل تعتقد أنني رتبت الأمر بهذه الطريقة؟ كدت أموت من الصدمة عندما فتحت الباب ووجدت جيمس كنفدوم يقف على عتبة الدرج. وبالطبع سأل الكولونيل عني، وعندما رأى سارة..."

وتكورت قبضتا جويل، وقال:

"نعم، وبما لديه من معلومات سابقة فطن لما فعلته، ولكن ذلك ما زال لا يفسر لماذا تتزوجينه، هل وعدك بمساعدة مالية من أجل سارة؟ هل يوجد جراح مغمور في مكان ما أنتج عقارا علاجيا؟"

"لا! لا! وعلى الأقل، انه حل بسيط للغاية حقاً، فان فصيلة خلايا دم أبك تناسب سارة، وقد وافق على نقل إحدى كليتيه لتزرع في جسم سارة."

٨- الزيارة

وحدث فيها جويل في رعب وهو يقول:

"ماذا؟ ولكن والدي رجل كبير في السن!"

وكانت أصابع راشيل تتحرك على ظهر الأريكة في شيء من العصبية، وقالت:

"ليس كبيراً الى هذه الدرجة... وفضلاً عن ذلك فإن كليتيه سليمتان، وعلى ما يبدو فإنهما قابلتان تماماً للزرع."

ومسح جويل جبهته، وقال:

"ولكن لا يمكن أن تكوني جادة... يا إلهي... وأنت لذلك تتزوجينه؟"

"هذا أحد الأسباب، لعلك تعلم يا جويل... أن رعاية طفلة مثل سارة لم تكن شيئاً سهلاً، ومع جيمس فإنها ستحصل على كل ميزة ممكنة..."

وأطفاً جويل سكارده، ودمدم قائلاً:

"بإمكاني أن أوفر لها الميزات نفسها..."

عند ذاك كانت راشيل قد بدأت تعاني من حالة هبوط في التنفس وقالت في شيء من الإذعان:

"من الناحية المالية... ربما..."

ورفع بصره إليها، وقال:

"وهل ثمة شيء آخر؟"

وحولت راشيل بصرها بعيداً عنه، وقالت:

"إن يكون بوسعك أن تفهم..."

"أشكر، لأنني لا أفهم، إن أدعك تنفذين ذلك..."

"لا تستطيع أن تمنعني..."

"لا أستطيع؟ لو كنت مكانك ما بنيت خططي على ذلك..."

"أرجوك، يا جويل، ألا يمكننا أن نكف عن هذا الشجار؟ أنت

لا يعنيك أمر سارة، فلديك عملك، ولديك أريكا غراي..."

"أرجوك ألا تدخلني أريكا في الموضوع..."

"أنك لا تستطيع أن تنكر علاقتك بأريكا..."

"ليس في بقيتي ذلك... فأريكم وأنا شخصان راشدان، وإنني أعترف أنه من وقت لآخر..."
"لا أريد أن أعرف..."

ووضعت يديها على أذنيها، ونهض ووقف خلفها حتى أحست بدفع أنفاسه...
وتكلم في صوت أجش:

"أنت لا تريد أن تعرفي، لا تحاولي أن تنكري، ما كان يحق لك أن تهجريني، أعترف أنني تصرفت بشيء من الانانية ولكن حاولي أن تنظري من زاويتي. كنت أريدك، هل تعرفين ذلك؟ أقسم لك أنني في حياتي ما أحببت امرأة أخرى حبا حقيقيا..."

كانت هناك حلاوة سائلة تخفق في عروقها، وأسرع نبضها، وتهافتت ساقاها، وجذبت نفسها بعيدا عنه، واستدارت لواجهته، وقالت:

"لا تحاول اغرائي بالكلام، يا جويل!"
وهز حنفيه وضافت عيناها وانقرجت قدماه، وقال:

"لن يكون بوسعك أن تسيري في هذا الشوط إلى نهايته، يا راشيل..."
"سامضي فيه إلى النهاية، ولن يفلح اغراؤك في صدي عن ذلك..."

وحدق فيها جويل، وقال:

"أنني على استعداد لأن أهب سارة إحدى كليتي..."
وقالت في سخط:

"لا! لا أريد شيئا منك..."
وسألها بلهجة أشد حرارة:

"ولا حتى ما يصلح صحة ابتك؟"
"سوف تكون سارة بخير..."
"وإذا فشل نقل الكلية؟ كيف تكون الحال؟"

وكزت بأستائها على شفتيها، وقالت:

"وماذا يفعل؟"
"ما رأي الأطباء؟ ما النسبة المحتملة للنجاح؟"
وحركت راشيل رأسها في يأس، وقالت:

"أنهم... يقولون شيئا معقولا... لا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك..."

"إذاً أنت تضحين بنفسك من أجل الطفلة، ماذا لو فشلت العملية؟ هل تجازفين بكل شيء بلا مقابل؟"

ورفعت راشيل يدها، وقالت:

"جيمس وأنا لن نتزوج حتى تنتهي العملية..."
"أوه! حقا؟ إذاً أنت تتحيلين أنه إذا فشل كل شيء فسوف يقبل أبي أن ينهي الصفقة بينكما؟"

وقطبت حاجبا راشيل، وقالت:

"لماذا؟ طبعاً!"
ونظر جويل إليها نظرة استنكار وقال:

"أنت لست جادة..."
"ماذا تقصد؟"

وهز جويل رأسه، وقال:

"حسنا، عرفت من الأنسة كلاي أن أبي يصد أن يقيم حفلا فاعرا للخطوبة؟"

"أعتقد ذلك..."
ونشق جويل نفسا عميقا، وقال:

"وتعتقدين أنه بعد أن يشاع الخبر يقبل أبي بإنهاء الصفقة إذا لم تكن نتيجة العملية ناجحة؟"

"ولم لا؟"

"أوه، يا راشيل! أنت لست جادة!"
واسترخى جويل على الأرض، وجعل يده لتخلل شعره، وقال:

"راشيل! الرجال مثل أبي يحرصون على صورتهم أمام الرأي العام، وإذا ما قدمك أبي كخطيبته آنذاك يكون كسبا كبيرا لرجل في عمره، وإذا حاولت أن تنهي الخطوبة، لن يترك فرصة في الصحافة دون أن يستغلها لفضح أمرك، إذا قطعت لأبي فإن عليك أن تقولي الوداع لحريتك..."

وحدقت راشيل تجاهه:

"أنت تقول هذا لتخيفني..."
وارتفع حاجباه الأسمران:

"لو كنت في مكانك لما جرمت بذلك..."
"ما الذي يعنيه هذا بالنسبة اليك؟ لماذا تهتم سواء كان ذلك سيحدث أم لا؟"

وأجابها:

"ألن نرى جويل اليوم؟"

وأحست راشيل بشعور من القلق، ولكنها أجابت بحزم:

"لا! جويل لديه عمل وليس لديه وقت للحضور إلينا."

"ولكنه قال في الليلة الفائتة أنه سيأتي ويصحبني إلى حديقة الحيوان اليوم."

وأجابت راشيل:

"لا أعرف، سوف يأخذك العم جيمس إلى حديقة الحيوان إذا طلبت منه ذلك."

وأجابت سارة:

"لا أريد أن أذهب مع العم جيمس."

لم تكن جولة التسوق ناجحة، كانت سارة ترفض أن تقيس الملابس الجديدة، وكانت ملامحها الشاحبة وقمها الراض يجعلان الملابس الجميلة تبدو أقل رونقا، وتناولتا وجبة الظهيرة في المدينة، وعندما رجعا إلى الشقة، كانت سارة تمتلك ثلاثة فساتين، وبذلات ذات سروالين، وبعض الملابس الداخلية وسترة جديدة ذات فراء وقلنسوة، ومعطفا غاليا من الجلد للجناسيات الخاصة، ولكنها لم تكن تكثر لكل ذلك.

لم يكن هناك أثر لجويل. وكانت راشيل مرتاحة لذلك، أما سارة فبعدما أكملت راشيل تهيئتها في مخدعها للنوم، قالت:

"أفضل أن يقيم معنا جويل بعد أن تتزوجي، وهذا قرار يروعت راشيل عندما سمعت ذلك، وقالت:

"لا تكوني سفيهة يا سارة!"

"لماذا؟ ستكونين أما لك أيضا؟ ألا تفضلين ذلك؟ لماذا لا يعيش معنا؟"

"شرحت ذلك من قبل يا سارة! إن لجويل بيته الخاص، وفضلا عن ذلك فأننا سوف نعيش في بلاد اليونان."

"وأي بلاد اليونان؟"

"قلت لك يا سارة، أنها على مسافة ٠٠ بعيدة جدا، حيث تشرق الشمس طول الوقت."

"أنا لا أريد الشمس أن تشرق طول الوقت."

"لا حيلة لي في ذلك!"

"أحب أن أبقى في انكلترا."

"ولكن العم جيمس، يريد أن يعيش في بلاد اليونان، إن

"أنا لم أكف أبدا عن السعي للوصول إليك. أنا أريدك دائما، هنا، والآن."

كانت عيناها غارقتين في الانفعال، وصارت راحتا راشيل تضغطان بيأس على كتفيه، وخطرت لها بشرة جيمس، وكيف كانت تزخر بالخطوط والعقد... وأمسك جويل بإحدى يديها...

وكان المجهود الذي تحتاجه لتدفع بنفسها بعيدا عنه شيئا أكبر من طاقتها، ولكنها مع ذلك استطاعت أن تخلص نفسها منه، ووقعت تنفس بشدة وشعرها طليق كالحرير حول وجهها المتورد، وقالت في ثورة عارمة وهي تجذب قميصها:

"لنني أكرهك يا جويل، اخرج من هنا! ليتني ما رأيتك ثانية!"

كان جويل، يجلس ويداه تتدليان في استسلام، ونهض ببطء وقد تجمدت نظرة عينيه، وعلق ساخرًا، وهو يلتقط سترته ويرتديها:

"أسف، لا أستطيع أن أضطرك لتأخذي بالاختيار الثاني، أما بالنسبة إلى الاختيار الأول فإنك تسخرين من نفسك يا راشيل! أنك لا تكرهينني ولكن إذا أضرت على ذلك، فسوف أكرهك!"

ظلت راشيل يقظة طوال الليل، كان جزءا نزويا فيها يجن إلى جويل، وحاولت يائسة أن تهرب من عذاب تلك الأفكار التي لا تستطيع أن تصرح بها، لم تكن قد سحبت لنفسها على الإطلاق أن تتذكر تلك الليلة التي أمضيها سويا والتي كانت تحجب بين طياتها قناع القدر والاذلال. لكنها الآن، تنجاهل تلك الذكرى... لو أنه فقط طلبها الزواج... ولكن مثل تلك السعادة كانت سرايا مع رجل مثل جويل، كانت يفهم أنه يريد لها. لكنها لم تكن تريد علاقة أشبه بالرمال المتحركة تبنى على الجاذبية وحدها. كانت تحب جويل، بكل الرقة والعاطفة، ولكنه أخذ حبها ودمره.

وفي الصباح أخبرت راشيل سارة أنها سوف تصطحبها في جولة إلى السوق، كانت تريد أن تشتري لها بعض الملابس الجديدة، ولكن الدافع الحقيقي هو أن تخرج من الشقة قبل أن يحضر جويل، وسألت سارة أنها، وهما يهبطان إلى

له جزيرة، كما قلت لك، والمياه جميلة وداخلة، وتستطيعين أن تسبحي..

"أنا لا أستطيع السباحة.."

"سوف تتعلمين.."

"لا أريد أن أتعلم.."

"سارة... أحذرك.."

"لماذا يكون علينا أن نذهب نعيش في بلاد اليونان ذات الهواء الرديء؟ لماذا لا نتزوجين جويل ونعيشين في لندن، أوه... أن ذلك يكون شيئاً بديعاً... وسيكون أبي غددٌ.."

"سارة!.."

وحدقت فيها سارة بفضول وقالت:

"ما الشكاية؟ ليس معنى أنك تتجادلين معه باستمرار أنكما لن تصبحا صديقتين.."

"سارة! من فضلك!.."

ووضعتها راشيل في الفراش، وأحكمت عليها المغطاء، وقالت:

"سارة! سارة! أرجوك! لا أريد أن أسمع مرة ثانية شيئاً عن جويل كنعودوم.. سوف أتزوج العم جيمس.. وسوف نعيش في بلاد اليونان... هل هذا واضح؟"

كان وجه سارة مقطباً، ولكنها أومأت برأسها، وقال:

"نعم! يا جانا!.."

"حسناً، والآن تصبحين على خير!.."

وفي اليوم التالي استيقظت وفي رأسها صداع، ولم تكن تشعر بالرغبة في الاستيقاظ وإعداد القطور وحتى وجه سارة الحزين لم يستطع أن يبعث فيها الخوة. وكان من الواضح أن الطفلة لم تنس بعد ما دار بينهما من حديث في المساء السابق فهي لم تذكر اسم جويل بالفعل ولكنها كانت تسرع إلى النوافذ كلما سمع صوت لتستطلع الأمر، والحقيقة أن راشيل ذاتها أصابها شيء من الدهشة عندما لم يتصل بها جويل. لم تكن تتوقع أن يفقد الأمل بتلك السهولة ولم يكن الجو في الخارج مشجعاً، وبقيتا في الشقة. وذهبت سارة في النهاية إلى الفراش، وهي في حالة من الكآبة..

وعندما حان ظهر اليوم التالي وامتد الوقت إلى ما بعد الظهيرة ولم يسمع شيء عن جويل بدأت تشعر بالقلق،

أما سارة فكانت في حالة من الكسل لم تفكر معها حتى في اللعب بدميتها هيلغا بل رفضت الخروج في صحبة أمها لشراء بعض الخبز، وكان التلفزيون يعرض برنامجاً لكنها لم تكن تلتفت إليه، وكانت وجنتها أكثر شحوباً عن ذي قبل. كانت أمامها فترة تمتد بقليل لأكثر من الأربع والعشرين ساعة لتدخل المستشفى ثانية للعلاج، ولم تكن راشيل قد رأتها من قبل في مثل تلك الكآبة، واتجه غضبها إلى جويل، لقد كان بإمكانه أن يتصل بالطفلة ولكنه لم يفعل!

وبعد أن شربا الشاي اقترحت راشيل أن تخرجا للسير في شارع ريجنت، ولم تكن حديقه ريجنت بارك تبعد كثيراً، وكانت تأمل أن يعيد الهواء النقي إلى وجنتي سارة بعض البهجة ولكن سارة رفضت الخروج، وقالت:

"أخرجني أنت، إنني لا أحس برغبة في المشي.."

"ولكنك يا سارة، لم تخرجي منذ يومين.."

ونظرت سارة إليها، من خلال عينيها قاتمتين عاصفتين، وجويل لم يحضر هنا منذ ثلاثة أيام، ماذا قلت له؟ لماذا أغضبته؟

وضغطت راشيل راحتها سوية، وقالت في اعتراض:

"لم أعصيه، أعتقد أنه مشغول يا سارة، ومع ذلك سوف يعود ثانية.."

"حقاً؟ إذا سوف أنتظر هنا. فربما يتصل هاتفياً، أليس ذلك محتملاً؟"

وتنهدت راشيل وقالت:

"هذا سخف يا سارة! لا شأن لنا وجويل.."

"لقد أحببته، وأحبني..."

"أنا متأكدة أنه أحبك يا عزيزتي، ولكن ذلك لا يعني شيئاً عليك أن تفكري في المستقبل يا سارة فخلال أسابيع قليلة سنسافر إلى الخارج وعندئذ.."

"قلت لك إنني لا أريد السفر للخارج.."

ورفضت راشيل أن تعلق على ذلك، أخذت تذرع الغرفة بقلق واستندت سارة على أحد طرفيها، وصعدت إلى الأريكة، وقالت:

"يمكنك أن تطلبه بالهاتف، ألا تفعلين ذلك يا مامي؟"

"لا يا سارة، يا حبيبتي لا أستطيع.."

"لماذا لا نستطيعين؟ ألا تعرفين رقم الهاتف؟"
كان بوسع راشيل أن تكذب تلك الكذبة الصغيرة، ولكن راشيل لم تستطع أن تكذب، وفضلاً عن ذلك فإن سارة كانت على درجة من الذكاء، وكانت ستجد طريقة للتوصل إلى الرقم.
"ربما يكون لديه ناس في شقته... ضيوف مثلاً... وربما يكون لديه عمل."
"إذن سيحجب هيرون على الهاتف."
وهزت راشيل رأسها، فقد كان لدى سارة لكل سؤال جواب.
"وماذا تنتظرين مني أن أقول له؟"
"قولي له... انني أريد أن أراه."
وأخذت راشيل تجتاز السجادة جيئة وذهاباً بقلق. كيف يجوز لها أن تطلب جويل؟ كان ذلك من وجهة نظرها شيئاً مضحكاً وبصفة خاصة بعد الطريقة التي افترقا بها، وقالت:
"لا أستطيع أن أفعل ذلك، يا سارة."
"تعين أنك لا تريدين أن تفعلي ذلك."
وعرفت راشيل أنها كانت على وشك أن تصاب بحالة من الهستيريا، وقالت لها:
"كوني متعقلة يا سارة!"
"انصرفي بعيداً عني! لا أريد أن أراك، أريد أن أرى جويل."
وتكورت قبضتها راشيل في عصبية واجتازت الغرفة، ورفعت الساعة، وأدارت الأرقام. فرغم السنوات لم تنس أرقام هاتف جويل. وهي لها أن الجرس سيرن طويلاً على الطرف الآخر وعندما رد هيرون كادت أن تغلق وتعيد الساعة إلى مكانها، ولكن وجه سارة المبتل بالدموع أجبرها على أن تذكر اسمها وتطلب التحادث مع السيد كنفدوم، ورد هيرون بأدب:
"أسف فالسيد كنفدوم يستريح، وطلب ألا يزعه أحد. هل من رسالة؟"
"وكرت راشيل على أسنانها... يستريح! ولا يريد أن يزعه أحد؟ ترى من يكون معه كي يطلب ألا يزعه أحد؟ وأجابت:
"لا! ليس ثمة رسالة."
وعندما أعادت الساعة، انصبت سارة وقالت:
"ما الخير؟ لماذا لم نتحدثي معه؟"

"إنه يستريح، لا أعتقد أنه بخير."
ولم تكن تعرف كيف يكون رد فعل سارة التي انفجرت تقول:
"لماذا؟ هل هو مريض؟ هل تذهب لمرأه؟"
"لا، يا سارة."
"لم لا؟"
"لأننا لا نستطيع، ولكن سوف يخبره هيرون أنني طلبته عندها يستيقظ."
وردت سارة وقد انهمرت الدموع من عينيها:
"لا أصدقك! إنك فقط تقولين ذلك."
"لا!"
ولم تكن راشيل تعرف كيف تقنعها وبدأت سارة تسأل أمها:
"لماذا لا تحبين جويل؟ لماذا لا تريدين أن تذهبي لزيارته؟"
"لا نستطيع أن نفعل شيئاً يا سارة حتى يتحسن."
"لم لا؟"
"لأننا لا نستطيع."
"ومتى يتحسن؟"
"وكيف لي أن أعرف ذلك؟"
وانسلت سارة من فوق الأريكة، وجاءت إليها:
"أرجوك يا حامي! أريد أن تذهب إلى شقته لمرأه، سوف أكون بخير إذا فعلنا ذلك ويمكننا أن نأخذ له بعض الزهور."
واضطرت راشيل أن تقمع الرد الذي كانت ستجيب به، وقالت:
"ومن أين نستطيع أن نحضر الزهور في هذا الوقت من المساء؟"
"إذن لنحضر بعض الحلوى."
أوشكت راشيل أن تفقد صوابها، بينما يبدو كل شيء غاية في البساطة من وجهة نظر سارة، ونظرت راشيل بقلق إلى ساعتها: السادسة والنصف. ولم تستطع أن تصدق عينيها.
ورأت وجه سارة الصغير يحدق فيها بنظرة متوسلة، واتخذت القرار فجأة، لم لا تأخذ الطفلة إلى مسكن جويل؟ هيرون هناك. وسوف يتلقى الأوامر من سيده... وعندما تسمع سارة كل شيء منه فربما ينصح لها أن جويل ليس الهلاك الذي كانت تتخيله... وقالت في شيء من...

"حسنًا... سوف نذهب إلى مسكنه... ولكن إذا ما رفض هيرون أن يسمح لك برؤية جويل فعليك أن تتقبل ذلك... هل تفهمين؟"

وارتعدت شفتا سارة، وقالت:

"هل يعقل أن يفعل ذلك؟"

"لا أعرف، سيكون عليك أن تتظري حتى تعرفي بنفسك..."

كانت راشيل تتكلم عن عمد حتى تنهيا لأسوأ ما يمكن أن يصادفها... واستقلتا سيارة أجرة إلى ذلك المبنى الفاخر الذي يطل على حديقة ريجنت بارك والذي يشغل جويل منه الشقة القائمة فوق سطحه، وكانت خبرة مؤلمة لراشيل، إذ تذكرت آخر مقابلة بينها وبين جويل في شقته، وكانت تلك الذكرى تغترن بالحزن والاذلال...

واستقلتا المصعد، وتردد صدى قرع الجرس داخل الشقة وتصلبت عضلات راشيل في شيء من العصبية لما قد يحدث بعد ذلك... ولكن لم يصدر من داخل الشقة أي صوت يجيب... ونظرت راشيل إلى وجه سارة المضطرب، ودقت الجرس من جديد بشيء من التصميم وبدأ وجه سارة يتفرض بعد المحاولة الثالثة وسألت وهي تبكي:

"إنه غير موجود؟ هل تظنين ذلك؟ إنه ليس متوقعًا على الإطلاق... كان هيرون يدعي ذلك فقط..."

ولم تكن راشيل تعرف كيف تجيبها، كان واضحًا أن الموقف سوف يساعد بالفعل على أن تمرر سارة من الوهم، وكان ذلك ما أرادتته ودمدمت في شيء من الغرابة:

"من المحتمل أن يكون هيرون قد خرج... ومن المحتمل أن يكون جويل نائمًا..."

وأخرجت سارة زفرة من أنفها وقالت:

"لو كان ذلك... لسمع جرس الباب..."

"نعم، ولكنه قد لا يأتي ليحيب..."

وسمع صوت الباب يفتح من خلفهما، فاستدارتا في دهشة، وارتفع صوت سارة:

"جويل! إنك هنا! "

كان جويل يستند متثاقلاً إلى الباب، وهو يحاول أن يقف بجهد كبير، لحيته طالت على مدى يومين مما أضاف شحوبا إلى فكته، وكان يلبس إزار حمام وضعه على جسمه

بطريقة متسرعة، وقد بدت بعض خبات العرق على جبهته، شعره أشعث، ومن الواضح أنه في حالة صحية سيئة، ودمدم وهو يزيع شعره عن جبهته:

"أسف، لم أكن أتوقع أن يزورني أحد، وقد اتصرف هيرون..."

واستجدمت راشيل رباطة جأشها:

"إننا أسفنان أيضًا يا جويل، أنا وسارة أردنا ذلك... وكانت قلقة عليك..."

وخطا جويل إلى الخلف مستندًا إلى الحائط وقال:

"ألا تدخلان؟"

وكزت راشيل على شفتها وقالت:

"ربما يكون من الأفضل ألا نفعل..."

وقال جويل، وهو يحفل من تقلصات أصابعه:

"أرجوكم أن تدخلوا، سوف أكون بخير، فقط أعاني من صداع قوي..."

كانت راشيل تنظر إليه بشيء من الشك... ولكنه كان يرتعش وتأكدت من كونه لا يصطنع الصداع، وتصورت الضالة لا بد أن تكون حالة الصداع النصفى التي كانت تصيبه، وأمسكت بيد سارة... ودخلت إلى الشقة، وأخذت تهبط الدرج إلى غرفة الجلوس الرئيسية، كان ذلك الخطو يعود بها أدراج الزمن، غير أن السجادة السمكية، كانت جديدة وكانت تنسجم مع الأريكة المخملية الطويلة المقوسة ومع الكرسي الوثيرة الأنيقة... وكانت أبراج لندن وسطوح المباني تبدو من خلال المتأثر الطويلة خلف النوافذ الزجاجية المعنّية...

وأغلق جويل الباب، وأسند ظهره إليه، وأخذ يحكم حزام إزار الحمام، كانت سارة خلال ذلك قد أطلقت يدها من يد راشيل وأخذت تستكشف المكان الجديد...

"سارة! "

ولكن جويل أشار إليها بالأصبع، وقال:

"لا تقلقي، أستاذك يضع دقائق، أصلح فيها من نخسي بعض الشيء..."

وقالت راشيل في شيء من الحرج:

"لا تريد أن نزعجك، هيرون أخبرنا أنك تستريح..."

"هيرون؟"

"اتصلنا بك هاتفياً منذ حوالي نصف الساعة... وهكذا

عرفنا . ربما ما كان ينبغي أن تأتي .
 وحقق جويل فيها لحظات قليلة . وأخيرا لاح في عينيه شيء
 من الفهم .
 "أستطيع أن أتصور ما فكرت فيه ."
 وطأطأت راشيل رأسها ، وانتهرت سارة الفرصة لتتدخل ،
 وتقول له في شيء من اللوم :
 "لماذا لم تحضر لتزورنا ؟ قلت إنك ستفعل !"
 وجول جويل انتباهه إلى سارة ، وهبط الدرج إلى الجزء
 الرئيسي من الغرفة ، وقال لها في رقة :
 "كنت أتوي ذلك ، لكنني كنت مريضا خلال اليومين الماضيين ،
 هل اشتقت إلي ؟"
 ووضعت سارة يديها على كتفيه ، وأجابت :
 "نعم ، وانتظرتك لنأتي ، وعندما لم تحضر شعرت بالاعياء ."
 وغامت عيناه ، وضمها إليه ، وهو يقول :
 "صحيح ؟ كانت هذه أول مرة يضم الطفلة إليه بتلك الكيفية ،
 ولم تستطع راشيل أن تتحمل رؤية ذلك المشهد ، واستدارت
 واتجهت إلى النافذة ، ونهض جويل بعد دقيقة ، وقال :
 "سأذهب لأرتدي ملابس ."
 واستدارت راشيل ، وقالت :
 "لا داعي . . . يمكننا أن ننصرف . . . اطمانت سارة والأفضل أن
 نرقد في الفراش لتستريح . . ."
 ونظر إليها جويل ، وقال :
 "أستطيع أن أرتدي بعض الملابس ، وأستطيع أن أتحمّل
 الموقف إذا كنت أنت تستطيعين ذلك . . ."
 وضغطت راشيل راحتيها على وجنتيها ، ودمدمت :
 "أسفة . . . ظننت بك ظن السوء ، وأسفة لأزعاجك . لا داعي
 لأن تشغل نفسك بنا . . ."
 أخذت راشيل تتجول في الغرفة كما كانت تتصرف سارة ،
 وكأنها تجدد ذكراها . . . كم أحببت هذه الغرفة فيما مضى !
 اتساعها وارتفاع جدرانها . أناقتها .
 ورجع جويل خليق الوجه أنيقا ، أما شعر رأسه فقد أصلح
 تماما بالفرشاة ، وكان يبدو نحلا جذابا وهو يرتدي سرواله
 المتموج البني القاتم وقميصه القمحي المصنوع من حرير
 سميك ، ومع ذلك كانت وجنتاه الشاحبتان والحلقات

القائمة حول عينيه تكشف أنه لم يستكمل شفاؤه بعد . وقال
 وهو يتأرجح عند المدخل :
 "والآن . . . هل أحضر لك شرابا ؟"
 واتجهت إليه لتأخذ بذراعه ولتقوده تجاه الأريكة ، وقالت :
 "تعال ، واجلس ، سوف أحضر أنا المشروبات ، أي شراب
 تريد ؟"
 وغاص جويل في الأريكة دون معارضة ، وأسند ظهره ، وقال
 وعيناه طارقتان :
 "يكفيني شراب بارد منعش ، إذا سمحت ، لم يكن ثمة تلج في
 الوعاء ، واجتازت راشيل باب المطبخ تاركة جويل وسارة
 لتحضر بعض الثلج من التلاجة ، وتذكرت كيف كانت تعد
 وجبات العشاء لنفسها ولجويل هنا ، وكيف كانت تجعل جويل
 يجفف لها الصحنون وكيف كان ذلك ينتهي . . .
 وسكنت كأسا من شراب الليمون لسارة ، وآخر من الليمون
 الحامض لجويل ، وكأسا آخر لنفسها ، وشرب جويل نصف كأسه
 بطريقة تدل على أنه كان بالفعل يعاني من الظمأ . وقال :
 "كنت تواقا إلى هذا . . ."
 وسألته راشيل بقلق :
 "هل أكلت شيئا اليوم ؟"
 هز رأسه ، وهو يرتجف :
 "لا أستطيع أن أذوق الطعام ."
 وشربت سارة كأسها ، ثم تسلفت على ركبته متجاهلة
 اعتراض راشيل ، وقالت :
 "هل تأتني غدا لتزورنا ؟"
 وداعب جويل خصرها الصغير وقال :
 "سوف نرى . . ."
 وقالت راشيل بعد أن جلست على السجادة :
 "ولكنك لا بد أن تأكل شيئا !"
 ونظر اليهما جويل بطرف عينيه ، وقال بهدوء :
 "هل تعديتني بالألا تتزوجي أبي ؟"
 وأحكمت يديها حول كأسها ، وهي تقول :
 "ولكنني لا أستطيع أن أفعل ذلك ."
 ودمدم يقول :
 "أريد الفرصة لأبذل ما أستطيع من أجلك ، أرجوك ، أريد

ونهضت راشيل ثانية، ودق جرس الباب ونظرت الى جويل بعينين مستقيمتين، وعلت وجهه علامات الاستسلام وقال وهي تتجه لتصعد الدرج:

"لا تفتحي الباب الا اريد ان اري أي شخص آخر."

ولكن سارة بحساسها العادي لفتح الأبواب، تسالت عن ركبتيه، واتجهت لفتح الباب قبل أن يلحق بها أي منهما ليمنعها من ذلك.

كانت اريكا غمراي تحديق الى الطفلة في ذهول، وتصلبت ملامحها الدقيقة عندما رأت راشيل، وقالت بشيء من اللامبالاة:

"هل قطعت عليكم شيئاً؟"

ووقع بصرها على جويل، وقالت:

"أوه جويل، خبيبي! هل تشكو من شيء؟ لماذا لم تخبرني؟ حاولت الاتصال بك، ولكن كل ما كان يقوله هيرون أنك لا تريد أن يزورك أحد..."

كانت سارة قد أغلقت الباب وهي تحديق بشيء من الاهتمام في المرأة التي كانت تلفظ بذراع جويل. ونظرت الى أمها، ولاحظت راشيل الرعدة التي كانت تنتاب شفرتها السفلى، وقالت في هدوء:

"أعتقد أننا يجب أن ننصرف، يا سارة... فأت جوعد نومك... لكن جويل! بتدريها قائلاً:

"لا! انتظري! راشيل لا تنصقي الآن!"

وقالت اريكا بصوت ينم عن السخرية العميقة:

"لو أن وجودي غير مرغوب فيه..."

وكانت راشيل تحس باحساس مخيف، وقالت:

"لا! ليس كذلك، سارة!"

وألقى جويل نظرة قلقة تجاه اريكا، وقال:

"نحن لم نده الحديث بعد، يا راشيل! أرجوك أن تنتظري..."

وزمت سارة شفرتها، وقالت:

"أريد أن أذهب الى دورة المياه..."

وعبرت اريكا عن احساس بالاشمئزاز، ونظرت جويل

الى الفتاة الصغيرة وقال:

"إنك تعرفين أين هي... لقد صحبتك إليها في المرة

الماضية... هل تذكرين؟"

وأومات سارة بالايجاب، وخرجت من الحجرة وعندئذ لفت راشيل حزام حقيية يدها حول معصمها، واتجهت نحو الباب تستعد للرحيل.

وقطب جويل قسما وجهه وقال:

"راشيل! (وأمسك يظهر الأريكة يستند عليها)، راشيل!"

"أرجوك بحق الله..."

وحذقت اريكا تجاهه في ذهشة وقالت:

"جويل... ماذا يحدث هنا؟"

وأدار جويل عينين معذبتين تجاهها، وقال بشدة كما لو كان

قد توصل الى قرار:

"نعم... لقد حان الوقت لتعرفي كل شيء..."

وحاولت راشيل أن تسكنه فقالت:

"جويل!"

ولكنه تجاهلها قائلاً:

"هناك شيء يجب أن تعرفيه... يا اريكا... لقد عرفت راشيل

منذ ستوات... عندما كانت طالبة في الكلية هنا... وكانت قد

قابلت أبي في تلك الأيام أيضاً... ولكن سارة ليست كما

تتخيلين طفلة من أبي... إنها مني أنا... هل تفهمين... سارة

ابنتي!!"

فراشة الحبة ٩- السقوط

خيم الصمت على الثلاثة نصف دقيقة بدت كأنها دهر، وعادت سارة ثانية إلى الغرفة. كانت تركز كل اهتمامها على البقعة التي احتلت مكانا بارزا في مقدمة سترتها الفرائية القرمزية ذات القلنسوة، وهمست في كآبة والدموع تسيل على وجنتيها:

"أصابني دوار يا ماما... أنظري ما حدث لسترتي..."

وأحست راشيل بشيء من ارتياح في أعماقها لهذه الشكوى باعتبارها نوعا من التحول، وقالت وهي تنجس إليها:

"أوه، يا حبيبتي، لا تكثرني، سوف تزول بالفسيل..."

وقالت سارة:

"١... أعتقد أنني تسببت في فوضى... هناك..."

وأشارت إلى الرذعة خلفها، وأصدرت أريكا حركات تعبير عن ضيق صدرها. ولكن جويل أسكتها بنظرة منه، وقال:

"لا تكثرني يا محبوبتي... سوف يعنى هيرون بما حدث..."

"سوف أعنى أنا بها، أين أجد مواد التنظيف؟"

وقال بنفحة متصلة:

"قلت إن هيرون سيفنى بذلك، لدينا مسائل أخرى نناقشها يا راشيل..."

وعلمت راشيل:

"ليس الآن، ألا تظن أنك قلت ما فيه الكفاية؟"

وقالت أريكا:

"إنني أؤيد ذلك..."

ولكن جويل قاطعها قائلاً:

"أخبرني..."

واتجه إلى حيث كانت راشيل تقود سارة نحو الباب، وهو لا يكاد يحفظ توازنه:

"راشيل، إلى أين تذهبين؟"

"أعتقد أن إجابة السؤال واضحة، إنني أعود بسارة"

إلى البيت، تصبح على خير يا جويل، وأنت يا آنسة غراي!"
وصاح جويل:
"راشيل!"

كانت راشيل تستحث سارة عبر الباب ولم تكن لديه القوة لمنعها من الخروج.

وفي اليوم التالي كانت سارة قد شقيت تماما من الدوار، مما طمأن أمها. وكانت السيدة تاليوت تنتظر راشيل عند عودتها وقالت في اعتذار:

"آسفة، يا سيدة غيلمور لأنني تأخرت..."

واصطنعت راشيل الابتسام... وقالت:

"كلا، ولكن المسألة تبدو غريبة نوعا ما. امرأة راشدة تحتاج إلى حاضنة تعنى بها!"

وتغير لون السيدة تاليوت، وقالت:

"أوه! لا أعتقد أن السيد كنفدوم ينظر إلى الموضوع هكذا، ولكن لندن يمكن أن تغدو مكانا مخيفا لمن لم يعتد الحياة فيها..."

وتحدثت راشيل لو أخبرت مديرة المنزل بأنها سبق أن عاشت في لندن لسنوات في وقت كانت فيه أكثر جاذبية مما هي الآن، ولكنها قررت ألا تفعل ذلك. ودق جرس الهاتف، وذهبت راشيل لتجيب على المكالمات. كانت تتوقع أن يكون المتكلم جيمس. لكنها سمعت صوت جويل يقول:

"راشيل! راشيل! أهذا أنت؟"

ونظرت راشيل بارتباك إلى السيدة تاليوت التي كانت تخرج خيطان الصوف من حقيبتها، وواصلت المحادثة:

"ماذا تريد؟"

"أريد أن أراك..."

ولمعت راشيل:

"سارة..."

"سارة في المستشفى، وقد تأكدت من ذلك، أوه! إنني أعرف أن السيدة تاليوت عندك، ولكنك لست سجيئة، بإمكانك أن تخرجني..."

"لا يمكنني ذلك..."

"إذا أحضر اليك..."

"لا تكن مخبولا..."

وفكرت راشيل في ياس:

"هل أنت في الفراش؟"

"لا، ولكن هل لذلك أي دخل في الموضوع؟"

"نعم، لأنني عندئذ لن أحضر."

وكان جويل يبدو ساخطا وقال:

"حسنا، لست في الفراش، وفضلا عن ذلك هيرون هنا."

"وكيف أعرف؟"

"هل تريد أن تتحدث اليه؟"

"لا! (ونظرت مرة أخرى إلى مديرة المنزل) وماذا عن أريكا؟"

"أترك لي أريكا، يا راشيل!"

"حسنا."

كان يسعد بها أن تخرج من الشقة، وكان جويل مريضا وليس

هناك ما يخيفها. وأخبرت راشيل السماعة إلى مكانها،

وكادت تخرج عن صوابها عندما رن الجرس فجأة للمرة الثانية

ورفعت السماعة، وقالت:

"نعم؟"

"راشيل؟"

كان الصوت صوت جيمس، وواصل الكلام يقول:

"أين كنت إذا؟"

"ماذا تعني؟"

"مضى وقت طويل وأنا أحاول الاتصال. وفي هذا المساء

اتصلت مرة فلم يجبني أحد، وفي المرة الثانية كان الخط

مشغولا، ما الذي يحدث؟"

"لا شيء يا جيمس! في الليلة الفائتة... سارة وأنا خرجنا

لفترة، ولكننا عدنا بعد الثامنة بقليل."

"كان لدي اجتماع في الليلة الفائتة... ولم أستطع الاتصال بعد

السابعة والنصف. وعندما انتهى الاجتماع ظننت أنك في

الفراش."

"أفهم، وبلغت ريقها بشيء من التشنج وأضافت: أسفة."

"وأين كنت الليلة؟"

"كنت في صديقة سارة إلى المستشفى؟"

"ليست السيدة تاليوت عندك؟ لماذا لم تجب؟"

وتنهدت راشيل:

"حضرت متأخرة، أسفة إذا كنت قد أمضيت وقتا فيه شيء

من الأحياء."

"وأنا أيضا أسف، ولكن منذ لحظة كان الهاتف مشغولا، مع من

كنت تتحدثين؟"

وتعثرت الكلمات في حلقها، وصاح:

"ماذا حدث؟ ألا تريد أن تتكلمي؟"

وعرفت راشيل أن عليها أن تخبره، وصاحت:

"لقد كان المتحدث جويل، إذا كنت نصر على أن تعرف."

وقال باقتضاب:

"ماذا كان يريد؟"

"أوه، كذا، وكذا..."

"هذه ليست إجابة، يا راشيل!"

"إنه يريد أن يراني."

"لماذا؟"

"ليتحدث عن سارة، علي ما أعتقد."

"هل عرف بحالتها المرضية؟"

"نعم!"

"أنا سعيد بآمانتك في هذا الخصوص، لأنني تحدثت مع جويل

بنفسي وأعرف أنه علم بكل شيء..."

"أفهم."

"ولماذا أخبرتني؟"

"هو اكتشف ذلك."

"من سارة؟ عندما أخذها إلى مسكنه؟"

ونطقت راشيل، وهي تلهث:

"من خلال... الحديث..."

"أعرف كل شيء يا راشيل... ولا جدوى من الكذب علي..."

"لا أكذب عليك..."

"من الأفضل ألا تعطيني ذلك..."

"ما الحكاية يا جيمس؟ لماذا تتحدث بهذه الطريقة؟"

"أريد أن أعرف ما كان يقوله جويل، وكيف سيكون تصرفك

عندما يتم كل شيء؟"

"ماذا تعني؟"

"لا بد أنك تعرفين أن جويل يريد أن يتبنى الطفلة!"

"يتبنى سارة؟ أنا لا أعرف ذلك..."

"ربما يكون ذلك ما يريد أن يتحدث اليك عنه."
ومسحت راشيل بيد مضطربة على وجنتها، وقالت:
"ولكن..."

"لم يكن يجب أن تخبره أنها ابنته..."

"ربما لم يكن يجوز لي ذلك..."

"هل تريد أن يأخذ الطفلة منك؟"

وكادت تختنق وهي تقول:

"تعرف أنني لا أريد ذلك... إنني أحب سارة يا جيمس!"

"أعرف أنك تحبينها، ولكن من الأمانة أن تعرفي كيف يفكر جويل..."

"حسنا..." لا تشغل بالك يا جيمس! لن يأخذ سارة... سوف تجري العملية كما اتفقنا، وسوف نتزوج بمجرد أن تشفى..."

وساد الصفحت لحظة، ثم قال جيمس:

"كنت أفكر في ذلك، يا راشيل، أقصد في زواجنا، ألا تظنين أنه من الأفضل أن نتزوج قبل أن نتم عملية نقل الكلية لسارة؟"

"قبل؟"

"نعم، قبل... لو أننا تزوجنا يا راشيل، لكان لي الحق الشرعي في تبني سارة باعتبارها طفلي..."

وضغطت راشيل بيدها على معدتها المضطربة، وقالت:

"لا أعرف، يا جيمس!"

"ولم... لا؟ ما الفارق؟ فبعد أن نتزوج أدخل المستشفى وأجد أننا وسارة العلاج اللازم، وبعدها لن يوجد شيء يؤخر إقامتنا في هذا البلد..."

لم تكن راشيل تعرف كيف تجيبه، كان رأسها يدور، وكانت في حالة من الاضطراب والقلق، وقالت:

"جيمس لا بد أن أفكر..."

"تفكرين؟ لماذا؟ هل كنت تتوین أن تغيري رأيك؟"

وانفعلت راشيل بغضب وقالت:

"لا أنا لا أفعل ذلك..."

"حسنا..."

"أوه جيمس! أعطني يومين لأقلب الموضوع على وجوهه، لم أكن أتوقع ذلك بهذه الطريقة المفاجئة..."

وسكت، ثم قال:

"سوف أعود خلال أيام ثلاثة، يا راشيل، هل يمكنك أن تعطيني رأيك عندئذ؟"

وزفرت راشيل زفرة تعبير عن الارتياح وقالت:

"أوه، نعم... أرجو ألا تكون غاضبا يا جيمس!"

ورد جيمس بازدياد:

"لست غاضبا، لا، ولكن أشعر بشيء من خيبة الأمل، وأرجو أن تتذكري أنك تستفيدين من هذا... فعندما تصبحين زوجتي لن يستطيع انسان أن يأخذ سارة منك..."

عندما وضع السماعة، التفتت راشيل الى مديرة المنزل، وقالت:

"سوف أخرج لبعض الوقت، يا سيدة تالбот،"

وبدا على السيدة تالбот شيء من الدهشة، وقالت:

"تخرجين؟ يا سيدة غيلمور!"

وأومأت راشيل بالإيجاب وقالت:

"نعم، ويعرف السيد كستغوم بذلك..."

وأخذت تحاسب نفسها لماذا قالت هذا، لم تكن طفلة صغيرة لتحتاج أن تفسر حركاتها، وخشيت أن يكون الدور المرسوم لها في المستقبل أن تحاول دائما أن تجد الأعذار لتصرفاتها...

"حسنا... إذا كنت واثقة من ذلك يا سيدة غيلمور! ولكن الساعة الآن بعد التاسعة..."

"أعزف!"

واتجهت راشيل الى حجرتها، ولمست سترتها الجلدية، ولم تكن القميص الزرقاء كافية لوقايتها من البرد ولكنها كانت تنوي أن تأخذ سيارة أجرة عند نهاية المجر، وأنزلتها السيارة أمام المبنى وحملها المصعد الى الشقة، وضغطت على الجرس وانتظرت...

لم يكن هيرون هو الذي فتح لها الباب ولكنه جويل بنفسه... كان يقف بأدب الى الداخل عندما رآها، وقال:

"ألا تدخلين؟"

ورفعت راشيل بصرها في شيء من الشك، كان قدر كبير من الازهاق قد زال عن وجهه، وكانت عيناه فقط تعكسان قسوة الألم الذي يعانيه... ولكن من الواضح أنه شفي بالفعل...

وعلقت ببساطة، وهي تتوقف على الدرج الهابط الى الغرفة:

"الحمد لله أنك أحسن..."

فراشة المحبة

كانت الغرفة مضاءة بالمصباح، والستائر قد أزيلت لتكشف
عن المنظر الجمال العريض لأضواء لندن، وواصلت راشيل:
"لماذا لم تقل لي ذلك؟ وأذن كان من الممكن أن نتقابل في
مكان آخر؟"

ورد جويل، وهو يهبط الدرج برشاقة أمامها:
"ولم ذلك؟ إن هذا المكان ليس أقل بهاء من أي مكان آخر،
أخلمي معطفك، وتعالى نجلس، ماذا تشربين؟"
هزت راشيل رأسها، وقالت:
"ما الذي تريد أن تقول لي؟ لنته من هذا أولاً!"
أحضر عربة المشروبات جملة بالزجاجات والكؤوس وقال
في صوت هادي:

"أنا وأنت وحدنا هنا، يا راشيل ولا داعي للعجلة."
وانسعت عينا راشيل ونظرت تجاه الباب، وقالت:
"أخبرتني أن هيرون هنا."
وتنهذ جويل، وقال:

"حسنا، إنه في غرفته، المهم أننا وحدنا، هل يرضيك ذلك؟"
وبقيت راشيل حيث كانت، وقالت:
"أعتقد أنه لا طائل وراء هذا الكلام يا جويل! طبعني أبوك
بالمهاتف وأخبرني أنه كان يحادثك."
وحدق فيها بشيء من العيوس، وقال:

"راشيل! استخلفك أن تأتي وتجلسي، لن أحاول أن أغويك، أو
أرتكب شيئا من الأشياء التي قد يوحى بها اليك تفكيرك،
أريد أن أتحدث اليك."
وأسرعت أنفاسها، وقالت:

"عن أي شيء؟"
"تعالى واجلسي أولاً."

وهبطت راشيل الدرج وجلست على طرف الأريكة، ولم تكن
قد خلعت معطفها، وعندما قدم لها كأسا به سائل عديم
اللون، أخرجت يدها من جيبها، لتتناول الكأس، وسألت:
"ما هذا؟"
"عصير!"

قالت وهي تتناول الكأس:
"أشكرك."

وعاد جويل ليجلس إلى جوارها على الأريكة وقد

اقرب منها بدرجة كانت تخشاه، وقال:
"والآن، ماذا قال لك أبي؟"

هزت راشيل كتفها في شيء من الارتباك، وقالت:
"فقط... أنك تحدثت معه..."

كانت ملامح جويل تعكس الشعور بالمرارة وقال:
"فقط ذلك، ولا شيء آخر، هل طلبك بالمهاتف ليقول لك أنه
كان يحادثني؟"

وامتلقت بشرتها، وقالت:
"لا! كان لديه كلام آخر..."

"مثل ماذا؟"

"لا يحق لي أن أخبرك به..."

وبدت في صوته نغمة من الاحتقار، وهو يقول:

"هل أخبرك أنني تحدثت مع الجراح الذي سوف يجري
العملية؟"

وهزت راشيل رأسها، وقالت:

"لا! ولكن، لماذا تحدثت إلى الدكتور لوريمر؟"

"كنت أريد أن أعرف الحقائق، وصار يمعن النظر إلى السائل
في كأسه، وقال:

"هل تعرفين، أنها لن تنجح؟"

وأحست راشيل بتقلص في عضلات معدتها وقالت:

"ما هي التي لن تنجح؟"

"عملية زرع الكلية، أنا لا أحبها..."

"ما هي تلك التي لا تحبها؟"

وصار وجه راشيل أكثر شحوبا الآن، وتنهذ وقال:

"لا تشغلي هكذا، لو أن بإمكان أي شخص أن يجري هذه
العملية فسوف يكون لوريمر، ولكن المسألة ليست هكذا، المهم
النتائج التي تتبع ذلك..."

حدقت راشيل فيه وقالت:

"ماذا تعني؟"

وهز جويل رأسه، وقال:

"سارة ما زالت طفلة..."

"ولكن ذلك لن يغير من الموضوع شيئا..."

"دعيني أتم... سارة ما زالت طفلة، ونظرا لأنها تعاني من
هذه الحالة لفترة طويلة وتسببت في إعاقة نموها

الجسمي قليلا ولحسن الحظ فإن الآثار ما زالت بسيطة، ولكن إذا حدث زرع كلية شخص بالغ، فسوف تحتاج إلى نوع من العقاقير المثبطة لطرد الجسم لأي عضو غريب كي تبقى على قيد الحياة، وأنت تعرفين ما تصنع هذه الأدوية المثبطة، إنها تعوق النمو.

وأصابت راشيل قشعريرة، وقالت:

"أنا لا أصدقك، قال الدكتور لوريمر أن هناك فرصة كاملة لنجاح العملية."

"وسوف تنجح العملية من الناحية الفنية، ولكن أطلب لوريمر على الهاتف إذا كنت لا تصدقين ما أقول، وأطلب منه أن يشرح الموقف، أعتقد أن اهتمامك الأول موجه لأن تظل سارة على قيد الحياة بعد العملية، ولا أعتقد أنك فكرت فيما بعد ذلك."

"إنك تنسى أن سارة لا يمكن أن تعيش على الكلية الصناعية طوال حياتها، إنني أريد لها الفرصة لكي تعيش حياة عادية."

"وأنا مثلك."

"إذن لماذا تحاول أن تخيفني وثقنني بإلغاء فكرة زرع الكلية؟"

"إنني لا أحاول أن أخيفك، يا راشيل! كل ما أقترحه هو ألا تتعجلي ذلك. لقد تعودت سارة على جهاز الكلية الصناعية... وربما يكون من الأفضل أن تنتظري وتفكري... راشيل! إنني أريد صالح الطفلة أيضا وأنت تفهمين ذلك."

"حقا؟ حقاً تريد ذلك؟"

ووضعت راشيل الكأس التي كانت تمسك بها على منضدة مجاورة، ونهضت ثم قالت:

"لماذا؟ لماذا؟ لتحرمني منها؟"

"عم تتحدثين؟"

ونفض جويل، ولكن راشيل أدارت ظهرها، وهي تقول:

"لا تحاول أن تنكر. أخبرني أبوك بما تسره."

"وهو؟"

وكان صوت جويل باردا للغاية. وانفجرت بشفتا راشيل في شيء من الحرارة:

"إنك تريد أن تسبى سارة. وهذا ما هددت به في البداية،

يا لك من شخص متغطر س...
وشرب جويل ما بقي في كأسه وسقطت الكأس الفارغة على السجادة، وقال:

"إذا هذا ما قاله لك؟"

"هل تنكره؟"

وهز جويل كتفيه:

"وهل يغير شيئا من الواقع... إذا ما أنكرت؟"

"ماذا تعني؟"

وهز جويل رأسه، وقال:

"لا أنكر أنني أريد أن أتبنى سارة..."

وقالت راشيل في شرود:

"هذا خيال..."

"لماذا؟"

"لأنك لا تشعر بأي حب تجاه الأطفال..."

"على العكس، إنني أحب سارة كثيرا..."

"ولكنك كنت دائما تقول..."

"إنني أعرف ما كنت أقوله دائما... ذلك انتهى... لقد كنت

أبلة يا راشيل..."

وكانت تشعر بالصداع، وصاحت:

"لن أسمع بذلك..."

وبدت على وجهه علامات المرارة:

"لن تسمح لي! كيف تمنعيني؟!"

"بالزواج من أبيك..."

وسألها جويل باحتقار:

"هل هذا هو ما قاله؟"

"ولنفرض أنه قال ذلك..."

وهز رأسه، وقال:

"أوه، يا راشيل... من إذن هو الأبلة الآن؟"

وردت في غضب وصدرها يرتفع ويهبط:

"لا تجرؤ على أن تسميني بلهاة!"

"إنك تحبيني... ليترك فقط تعرفين بذلك!"

"أنت؟" (أخرجت ضحكة ساخنة) "...إنني أكرهك!"

وتصلبت أصابع جويل، وقال:

"انتهبي، يا راشيل... لا تغريني لأفعل بك ما كنت أريد

١٠ - كليتة من في جسم سارة؟

وفتحت راشيل عينيها على ضوء ساطع، ولم تكن تعلم أين هي؟ كان السقف فوقها بسيطاً ومظلياً بظلاء أبيض، بل كان اللون الأبيض ينتشر في كل مكان، وكان ذلك يؤدي عينيها، ونظرت بعينين طارفتين، وأحست بخفقان فوق حاجبيها، وصداع وآلام عديدة تنتشر في كل جسدها... كانت ترقد في سرير ضيق، وكان الفراش محكما حولها بطريقة لم تتح لها حرية الحركة.

ودب الذعر في نفسها... وقبل أن يتحول ذلك الذعر إلى صراخ ظهر وجه بينها وبين الحائط الأبيض اللامع الذي يمتد أمامها، كان صوتاً سائياً رقيقاً يقول:

"كيف حالك الآن، سيدة غيلمور؟"

حاولت راشيل أن تركز على الوجه المبتسم، ولكن كان ذلك شيئاً بالغ الصعوبة، ولم تستطع أن تتعرف على ذلك الوجه، بل إنها لم تعرف ماذا على رأس تلك المرأة؟ طاقة... طاقة ممرضة! نعم كانت طاقة ممرضة! وصاحت في صوت يعبر عن الألم:

"سارة! أين سارة؟"

"سارة بخير تام... المهم أنت... إننا قلقون عليك أنت! وأغلقت راشيل عينيها وغمرها للمرة الثانية نعاس عميق، وصارت تردد في شيء من اليأس:

"سارة... سارة..."

وفتحت عينيها للمرة الثانية، لم تكن الجدران تبدو كلها بيضاء، وقطبت وهي تحاول أن تفكر... ماذا جاء بها إلى ذلك المكان؟ لماذا هي في المستشفى؟ وسمعت صوتاً يقول:

"السيدة غيلمور؟"

كان الصوت صوت رجل، وكان الوجه يدل على أنه يميل إلى كبر السن، وبلغت راشيل ريقها، وقالت:

"ماذا أفعل هنا؟!"

أن أفعله منذ ست سنوات..."

وخارت قواها، وصارت تتوسل اليه، وهي في حالة من الانهيار:

"دعني أذهب، يا جويل... أرجوك... لم يعد بوسعي أن أحتمل أكثر من ذلك..."

كانت بدا جويل ترتعشان، وأنفاسه تختلط بأنفاسها.

"إنني أحبك... دعيني أحبك يا راشيل، لا تتركتني! وانزعرت نفسها، وواجهته وهي ترتجف بطريقة أفقدتها السيطرة على نفسها.

"أوه... نعم... أنت تريد أن تفعل ذلك، تريد أن تأخذ ما تريد لكي تحدث جيمس بفعلتك!" وأثارها بقوله:

"راشيل، إنك تتحدثين لقوا... بحق الله دعيني أشرح..."

"لا أريد سماع أي شرح منك... يا جويل!"

"راشيل... تعالي هنا!"

وحاول أن يمسك بها، ولكنها راوغته، وأسرعت تصعد الدرج، وخرجت من الباب قبل أن يستطيع أن يوقفها، وسمعه يجري خلفها، وبدلاً من أن تنتظر المصعد بدأت تجري هابطة الدرج، تدور معه دورة بدورة، وتهبط معه طابقاً وراء طابق، كان رأسها يدور، وساقها تنضجان بالألم، هل كان يجد في أثرها؟ هل أخذ المصعد؟ سيكون قد سبقها إلى الطابق الأرضي وبدا الدرج وكأنه لا نهاية له، ترى كم طابقاً لا يزال أمامها؟ ولم تكن تقدر أن بإمكانها أن تواصل الخطو، بدا الدرج وكأنه شيء غريب للغاية... لم تكن تتبين هل هي تتسلق درجات السلم أو تهبط عليها؟ كانت ترى هذه الدرجات صاعدة إليها... ومدت قدمها لتصعد الدرجة الأولى، ولكن لم يكن هناك شيء، وزلت قدمها، وهوت، وصارت تهوي... واصطدم ذراعها، وساقها... أوام... يا للألم... وراحت في نوبة من الإغماء.

وأشار الرجل الذي يلبس المعطف الأبيض إلى إحدى
المرضعات من خلفه، لتقطر سائلا بين شفتي راشيل، كان
النساء منعشا وكان مذاقه مقبولا.

"والآن، يا سيدة غيلمور... لا أريدك أن تتكلمي... كل ما
أرجوه هو أن تستريحي".
"أين أنا الآن؟"

"أنت في المستشفى، يا عزيزتي... ألا تذكرين أنك سقطت
على الدرج... إلى الدور الأرضي".

وقطبت حاجبها ونشقت نفسها مضطربا. وتذكرت جويل
... مسكن جويل! وأخذت تنطق بصوت باهت:

"سارة؟"

"سارة بخير".

"أريد أن أراها".

"لا داعي لأن تشيري أعصابك يا سيدة غيلمور".
قالها الرجل بحزم، وهو ينحي عنها الفراش، ليجلسك
بمعضمها:

"غير منموج لأحد بزيارتك الآن. سوف تزيين سارة في الوقت
المناسب".

"سارة، من يرعاها؟"

"لقد فهمت أن أباها يتحمل المسؤولية".

ولكن راشيل لم تكن تسمع. وحاولت أن تتحرك، ولكنها لم
تستطع وبكت. كان الألم في رأسها يزداد حدة: أوه يا الله
لماذا لا تستطيع الحركة؟ هل أصابها الشلل؟ كان عليها أن
تفكر... وتفكر، ولكن التفكير كان مؤلما للغاية... كان وجه
الرجل غامضا... وكانت لا ترى من بعد إلا الظلام الحالك
وأصبح عليها أن تسأل... ووضعت عينها... تذكرت أن
هناك شخصا يجلس إلى جانب الفراش. أيمن أن يحدث هذا
... أين إذن ذهب الرجل ذو المعطف الأبيض؟ والمرضة؟
والرجل الذي يجلس إلى جانب الفراش لم يكن يلبس معطفا
أبيض، بل قميصا وستره جلدية. وكان يجلس في وضع يدل
على الأعياء الكامل. وأحست بأصابعها بين أصابعه...
وحاولت من باب التجربة أن تحرك أصابعها... وغمرها شعور
بالشكر حين نجحت.

واتتبه الرجل على الحركة، ورفع رأسه يستطلع حالها،

كان الرجل هو جويل، وعرفت ذلك في الحال رغم أنه كان يبدو
مكتئبا أضناه التعب وأهمل لحيته فبدأت تطول ونظرت
بعينين طارفتين من جديد. كان الضوء الوحيد في الغرفة
يأتي من مصباح إلى جانب الفراش. وكان الظلام قد ساد
ثانية، لا بد أنها نامت طوال النهار.
قال وهو يتنفس باضطراب:

"راشيل، راشيل، هل أنت صاحبة؟"

"أ... اعتقد ذلك".

"جويل... أين سارة؟"

وأخذ يدها بين يديه، وقال يوجه إليها بعض النصيحة:
"سارة تجد الرعاية الكاملة، كل ما ينبغي أن تفكري فيه هو
أن تتحسني أنت".

"متى أراها؟"

"في القريب العاجل...".

وتعلمت وأحست بشيء ملفوف حول رأسها، وقطبت
حاجبها، ورفعت ذراعها الطليق، وصارت تتحسس رأسها.
كان ملفوفا في الضمادات. ولم تجد أثرا للشعر الذي كان
يتهدل طليقا حول كتفها وأحست بما تعرضت له فروة رأسها
من إصابة، واتجهت في دعر صوب جويل:
"لماذا؟ لماذا ألبس هذه الضمادات؟"

وسألها وهو يهز رأسه بينما عيناه تعبران عن التأثر البالغ:
"ألا تذكرين؟"

"أعرف... أنني سقطت إلى الدور الأرضي... وأتذكر أنني
أصبت في ذراعي وساقاي".
ورفع يدها إلى شفتيه وقال:

"كانت غلطتي... كنت تهريبن مني... أوه، يا راشيل،
كدت أجن طوال هذه الأيام الماضية... وحاولت راشيل أن
تستوضح:

"الأيام الماضية، ماذا تقصد؟"

"راشيل... مضى عليك، وأنت راقدة هنا حوالي أسبوع...
أسبوع! ولكن... ولكن...".

ومد جويل يده وحاول أن يربط على شفتيها بأصبعه:

"لا تحاولي أن تتكلمي... لا بد أن أخبرهم بأنك صحت...
وحاول أن ينهض ولكن راشيل أمسكت بيده بإحكام:

"ليس بعد ... يا جويل! أرجوك أن توضح لي ... كيف أفضيت هنا هذه المدة الطويلة؟ إنني لا أتذكر!"
وتنهَّد وهو يفوف في مقعده وقال:
"كنت مصابة بالاعماء لعدة أيام، يا راشيل ... ثم ... أجريت لك عملية جراحية."
"رأسي! أجريت لي عملية جراحية في رأسي؟ هل حلقوا شعري؟"
"كان الحزن قد بدأ يجثم عليها، ولكنه أخذ يهدىء من روعها وقال لها:
"اسمحي لي بأن أنادي الطبيب، يا راشيل."
وقالت وصوتها يجهش بالكلمات:
"لا! حلقوا شعري رأسي؟ أجلي! حلقوه؟"
"كان عليهم أن يفعلوا ذلك، يا راشيل! كان هناك تزييف بالداخل، ولكنك سوف تتحسنين، وسوف ينمو شعرك من جديد، ويعود جميلاً كما كان."
وانهمزت الدموع على وجنتيها، وذهب يطلب العون والمساعدة، وعندما ظهر الطبيب والمرضة الراهبة لم يكن جويل في رفقتهم.
وخلال الأربع والعشرين ساعة التالية، اقتنعت راشيل بأنها نجت من الموت بأعجوبة، وأن الرأس الحليق كان ثمتاً نافها دفعتة إذا ما قورن بالشلل الذي كان يمكن أن يسببه تزييف المخ، كانت تشعر بهزال كبير. وكانت فائرة المهمة، وسألت عن سارة وحتى يمكن أن تراها وأين تقيم؟ ولكن الاجابات التي كانت تتلقاها كانت اجابات غامضة. ومضى يومان آخران حدث فيهما تغير كبير ... كانت قد بدأت تأكل القليل من الطعام ... واستطاعت أن تنكلم بدون أن يعود عليها ذلك بالاجهاد ... وبدأت تستند الى الوسائد لتتبع ناظرها بخدائق المستشفى من خلال النوافذ العالية ... وسألت الطبيب الذي جاء ليخصها:
"متى أستطيع أن أرى سارة؟"
ونظر اليها بشيء من التفكير قبل أن يجيب:
"لا تستطيعين أن تريها الآن بعد، يا سيده غيلمور ... لأن سارة في المستشفى أيضاً ... هي الأخرى ..."
... أنها تحصل على جلسة العلاج بجهاز الكلية الصناعية؟

"لا! ليست في علاج، ولكن أجريت لها العملية التي أردت أن تجري لها."
"ماذا تقول؟"
"أجريت لسارة عملية نقل الكلية منذ أسبوع، وأعتقد أن العملية نجحت تماماً."
"منذ أسبوع؟"
"والآن أرجو ألا تجزعي بخصوصها، لا شيء يدعو الى القلق، انها في أيد متخصصة آمنة."
"ولكن ... كيف أمكن أن تجري لها العملية دون وجودي؟ من أعطاهم الاذن بذلك؟"
"إنني أعرف أنه في ظروف خاصة، عندما يكون هناك اذن مسبق، بأنه يسمح بإجراء العملية، ثم ليس لأبيها هذا الحق."
وأدارت راشيل وجهها الى الوسادة، وقالت في صوت مختلق:
"إذن، عاد السيد كنفدوم من ألمانيا ..."
"كنفدوم ... لم أكن أعرف أن السيد كنفدوم ذهب الى ألمانيا."
واستدارت راشيل وتنهَّدت ... كان بالطبع يظن أنها تقصد جويل كنفدوم، وقالت بعفوس:
"لا يهم ... (وبدأت تفكر فيما قد يعنيه ذلك بالنسبة الى سارة) ... وماذا تقول؟ إيه ... العملية كانت ناجحة؟ لا أكاد أصدق ذلك."
وابتسم الطبيب، وقال:
"هذا شيء طبيعي ... إنني أفهم شعورك ... ولكن أحياناً يكون من الأفضل أن يتم التصرف بهذه الطريقة ... حسب اللحظة، هكذا ... كانت ابنتك سعيدة الحظ للغاية، وأمامها الفرصة الآن لتستمتع بحياة عادية تماماً ..."
"نعم ..."

وزمت راشيل شفتيها:
"وأخيراً تمت العملية!"

واستطاعت أن تخمن من الذي كان وراء ذلك؟ جيمس كنفدوم. أجريت لها بالفعل عملية نقل الكلية، وكانت في طريقها للشفاء. بل لقد نجحت العملية، وأكد الطبيب

ذلك، ومن المؤكد أن جيمس الآن سوف يتخذ الاجراءات الكفيلة بألا يجد جويل أية فرصة للمطالبة بابتته. وخلال الأيام التالية، كانت تتوقع أن يتصل بها جويل بطريقة ما فمن المؤكد أنه كان يعرف مشاعرها نحو سارة، وربما يشعر بالشفقة تجاهها ويأتي ليخبرها بحقيقة حال سارة وكيف كان رد فعلها لهذا الفراق الذي طال على غيبتها عن أمها، ولكنه لم يظهر، ودهشت عندما وجدت أن أول من حضر لزيارتها كان اريكا غراي... كانت تلبس بذلة ضيقة من "الكريب" الأسود وكانت تحمل معها باقة من الورد والقرنفل، وكانت اريكا تحس بحرارة عنكبوت كبير جائع وقالت:

"أهلاً... يا راشيل..."

ووضعت باقة الأزهار على الفراش، وقالت:
"كيف حالك؟"

وأومأت راشيل إلى الممرضة التي صحبت الزائرة، ايماءة طغيقة، بالانصراف وهي تقول:

"إنني أتمثل للشفاء، شكراً، لماذا حضرت، يا اريكا؟"

ورفعت اريكا حاجبها القائمين، وقالت:

"هل بإمكانني أن أجلس؟"

"إذا كان ذلك أمراً ضرورياً، إذن أجلسي..."

وجلست اريكا باسترخاء، وقالت:

"ينبغي أن أقول لك، إن جويل هو الذي طلب إلي أن أخضر..."
وتوترت أعصاب راشيل وقالت:

"أوه، صحيح؟"

وردت اريكا وهي تمسح على التتورة بيدها التي تلبس القفاز:

"نعم... لقد شغل بالعمل، كما تعرفين، ولكنه أراد أن يخبرك بأننا لم ننسك أو ننس سارة..."

ولم تستطع راشيل أن تكبح جماح استجابة خرجت بطريقة آلية، وقالت:

"سارة؟"

"نعم، سارة... أنت تعرفين بالطبع أن العملية أجريت لها..."
بالطبع..."

"رتب لها جويل كل شيء..."

"جويل؟"

"لماذا؟ نعم! ألا تعرفين؟"

"لا..."

وضارت راشيل تندف بعصبية في غطاء السرير:

"هل رأيتها؟!"

"بالطبع! إن جويل يراها كل يوم، وأنا أذهب معه كلما استطعت ذلك..."

ووضعت يدها على فخها، كأنها تدمت على ما قالت،
وأكملت:

"جويل يحرص على أن يرى ابنته، ولكن بالنسبة اليك فالأمر يختلف..."

"لماذا جئت يا آنسة غراي؟ ما الذي تحاولين أن تقويه لي؟"

"قلت لك إن جويل طلب إلي المجيء..."

"لماذا؟ إنه يعرف أنني لا أهتم إذا ما حضر... أو لم يحضر..."

كانت عينا اريكا تحاولان أن تسيرا مشاعر راشيل، وقالت:
"آه، ولكن هل تعنين ذلك حقاً؟ أنا وأنت نفهم ذلك بطريقة أصدق يا سيدة غيلمور... أليس كذلك؟"

"لا أفهم ما تعنين..."

"أعتقد أنك تفهمين... يمكنك أن تحاولي أن تقنعي نفسك بأنك لا تكثرين، ولكنك لا تستطيعين الاقتناع بذلك... إنك تعرفين أنني وأنت تعاني من المرض نفسه، وأنا أعرف الأعراض..."

ونشقت راشيل نفسها عميقاً وقالت:

"إنك مخطئة، يا آنسة غراي... إنني لا أشعر تجاه جويل إلا بالاحتقار أما أنت... فهنيئاً لك به..."

وجعلت اريكا أطراف أصابعها تتلامس مع بعضها البعض،
وقالت:

"وسارة؟"

"وماذا بالنسبة إلى سارة؟"

"إنك تريد أن تحتفظي بها؟"

"بالطبع..."

"إذا، تزوجني جيمس كنتقوم يا سيدة غيلمور... قبل أن تفقدنيها تماماً..."

صارت راشيل تحديق فيها بدهشة، وقالت:

"وماذا يهمك في ذلك؟"

"ألا تفهمين؟ أنا لا أهتم بالأطفال، يا سيدة غيلمور... ولذلك فإن مجرد التفكير في أنني أرعى طفلة في صحتها أو في مرضها شيء لا يروق لي... وإذا كان جويل مصمما على أن يتبنى سارة..."

وهالت برأسها جانبا، وواصلت:

"لعلك تفهمين؟"

"ولكنه لن يتبنى سارة ولن يستطيع ذلك!"

"أنا غير متأكدة من ذلك، ومن الواضح أن سارة تهتم بجويل، وهو يهتم بها كذلك..."

وطأطأت راشيل رأسها، وقالت:

"إن تبني جويل لسارة مسألة غير مطروحة... سوف أتزوج جيمس حالما يشفى ويتمكن من الحركة ثانية..."

وظهر على أريكا بعض الاضطراب، وقالت:

"جيمس! يشفى ويستطيع الحركة ثانية؟ عن أي شيء تتحدثين؟"

وأشدت راشيل نفسها إلى الخلف على الوسادة، وتمنت أن لو انصرفت أريكا وشركتها وحيدة، كان ما يحدث فوق طاقتها، ولا بد أن بشرتها شحبت بعض الشيء، فقد انتصبت أريكا في جلستها، وقالت:

"راشيل! راشيل! هل أنت بخير؟"

وعندما أفاق راشيل تنهدت الراهبة ثوماس بقلق، وقالت:

"قلت للمرضة هاربر ألا تسمح للآنسة غراي بأن تطول زيارتها لأكثر من خمس دقائق... كيف تشعرين الآن؟"

ووضعت راشيل يدها على جبهتها، وقالت:

"أشعر بدوار بسيط..."

"لو كنت أعلم أن الآنسة غراي ستسبب لك هذا الضيق، لما سمحت لها على الإطلاق بزيارتك..."

وحاولت راشيل بشيء من الجهد أن تنظر حولها، وهي تقول:

"الآنسة غراي... أين هي؟"

"انصرفت، ولكنها تركت لك هذه..."

ووضعت أمامها باقة الورد والقرنفل، وقالت:

"سأطلب إلى المرضة أن تضعها في الماء..."

وردت راشيل على الفور:

"لا، لا، لا تفعل! أيتها الراهبة! خذوها بعيدا، أعطيها لشخص آخر أو احتفظي بها إذا أردت... أنا لا أريدها..."

وقطبت الراهبة ثوماس، وقالت في شيء من الشك:

"أعتقد أن الآنسة غراي قالت إنها صديقة لك؟"

وتعلمت راشيل عندما أحست بأن حالة الدوار قد بدأت تزول عنها... وقالت:

"علاقتي بها مجرد معرفة... لا أكثر من ذلك... لا أريد أن أراها ثانية..."

وفي الأيام القليلة التالية، تحسنت حالة راشيل الجسدية بمقدار ما ساءت بها حالتها النفسية... كانت يوميا تتوقع أن يزورها جيمس، وكانت تشعر بالحنين لرؤية سارة، ولكن مستشفى ليدي مارغريت حيث أجريت له فيه عملية نزاع الكلية كان يبعد عن مستشفى سانت ماثيوز بمسافة ما... وكان عليها أن تسلم بأنهما لن يتقابلا إلا بعد شفاء سارة... وعندما أحست بقدرتها على الإمساك بالقلم والورق كتبت إلى ابنتها رسالة... وجاءها الرد على هيئة رسالة قصيرة كتبت بخط إحدى الممرضات على أغلب الظن:

"عزيزتي ماما... أسفت عندما علمت أنك أيضا مريضة، وإنني أفتقدك كثيرا، ولكن جويل زارني، وأخبرني بأنك تتحسنين، وجاء السيد كنفدوم ليزورني كذلك، ولكنني..."

أما بقية الجملة فلم يكن واضحا، ومع ذلك استطاعت راشيل أن تقرأ الكلمات: "لا أحبه..."

وتنهدت راشيل، وواصلت قراءة الرسالة:

"لا أعتقد أنه في رقة جويل..."

وأيقنت راشيل أن سارة لن تثقبه وواصلت:

"ويقول الدكتور لوريهر إنني سوف أستطيع الخروج من المستشفى في القريب العاجل، وعند ذلك سأحضر لأراك، أقبلي الحبيب من حب، سارة..."

وأحست راشيل بالدموع الساخنة خلف عينيها، وهي تعيد قراءة الرسالة... وخطر لها: هل يمكن أن يكون جيمس أخبر سارة بشيء عن زواجهما القريب؟ ألهاها قالت سارة إنها لا تحبه؟ وأعادت راشيل الرسالة إلى المغلف... لو أن جيمس زار سارة فلا بد أنه أت قريبا...

وفي اليوم التالي، في فترة ما بعد الظهر، دخلت الراهبة
ثوماس إلى حجرة راشيل، وقد بدا عليها شيء من الاستغراق
في التفكير، وقالت:

"هناك زائر آخر، سيده غيلمور... هل تريدان مقابلته؟"
"أوه! نعم! إنه..."

ووضعت يدها على رأسها المربوط بالضمادات، وقالت:

"هل أبدو في منظر غير مقبول؟"
ولكن الراهبة ثوماس ابتسمت ابتسامة فيها شيء من
الملوم.

"أفهم أنك تهتمين برأي السيد كينغدوم فيك، ولا يمكن أن
ألومك على ذلك فهو رجل جذاب، ولقد شغل به عدد كبير من
المرضيات آخر مرة كان فيها هنا."

وبينما كانت الراهبة ثوماس تتجه إلى الباب نادتها
راشيل:

"انتظري! انتظري دقيقة... السيد كينغدوم هذا، هل هو
شاب صغير؟"

وقطبت الراهبة ثوماس، وقالت:

"ألا تعرفين؟"

"نعم! بالطبع، ولكن هناك اثنان بالاسم نفسه... هل
أعطاك اسمه، اسمه الأول؟"

"لم يكن بحاجة إلى ذلك... فأنا أعرفه بالفعل... إن جويل
كينغدوم ليس مجهولاً في الأوساط التي تقدر العمل الفني."

"أوه! أفهم الآن... لا أريد أن أراه... أرجوك أن تطلي عنه
الانصراف."

وقالت الراهبة ثوماس في دهشة:

"أأطلب إليه أن ينصرف، يا سيده غيلمور؟ لكنه هو المسؤول
عن إدخالك إلى المستشفى وعن توفير أقصى درجة من العناية

لحالتك... إن الدكتور فريزر... (وذكرت اسم الجراح الذي
قام بإجراء العملية) هو أشهر أخصائي في الجراحة الداخلية

للتجويف العظمي للرأس، وكان يقيم في المستشفى ليل نهار
حتى شقيت من العملية... ألا تشعرين أنك مدينة له وهو الذي

رتب كل شيء؟"

وأصرت راشيل ألا تنظر إليها وقالت:

"أسفة... ولكنني لا أود أن أراه..."

"ولكن، يا سيده غيلمور..."

ورفعت راشيل بصرها إلى أعلى، وقد ظهرت حجرة على
وجنتيها، ولمعت عيناها، وقالت:

"هل أنا مضطرة لمقابلته؟ هل هذا شيء ملزم هنا؟"
وتنهدت الراهبة ثوماس وقالت:

"إنك تعرفين أنه ليس كذلك..."

وهزت رأسها، وقالت:

"وهو كذلك إذا لم تغيري رأيك..."

"لن أغير رأيي... أرجو أن تخبريه أنني عارفة بالجميل لكل ما
صنعه... ولكن لا فائدة... ليس بيننا ما يقوله أحدنا للآخر..."

كانت تظن أن جويل لن يقبل بذلك، وأنه ربما يقضب،
ويندفع إلى داخل الحجرة ليستطلع ما يجري، ولكنه لم يفعل،

ومن جهة أخرى أحسّت بحاجة إلى البكاء... ووبخت نفسها...
كان جويل قد أوضح موقفه تماماً، كان مصمماً على أن يأخذ

سارة منها، وكان جيمس فقط هو الذي يقدم البديل... وحاول
جويل في الأسبوع التالي ثلاث مرات أن يرى راشيل دون أن

ينجح في ذلك... وكانت في كل مرة ترفض زيارته تحس كأنها
ترفض جزءاً منها، وكانت لا تفكر في جويل إلا بوصفه الرجل

الذي يريد أن يأخذ منها سارة... وكانت تحدث نفسها أن أي
ارتباط وثيق بالرجل الذي أحبته بجنون، والد طفلتها... كان

من الممكن أن يؤدي إلى نتائج مدمرة... ومع ذلك فإنها لم تكف
عن حبه... وخطر لها أنه كلما أسرع جيمس بالزواج منها

وأبعدها عن فلك جويل كلما كان ذلك خيراً لها...

وأحسّت بالارتياح الغامر عندما جاءت الراهبة ثوماس بعد
ذلك بأيام لتعلن نبأ قدوم السيد جيمس كينغدوم لزيارتها...

كانت قد غادرت الفراش لتجلس على كرسي إلى جوار النافذة
تقضي بعض الوقت في القراءة ورفعت بصرها في فضول وهي

تضع يدا مضطربة إلى ضاداتها، وقالت:

"سوف أراه... دعني يدخل..."

كان جيمس كما تعودت أن تراه، ثم يطرا عليه أي تغيير...
كانت تتوقع أن ترى آثار العملية الجراحية بادية عليه، ولكن

لم يكن هناك أي أثر... ودلف إلى حجرتها ببطء، وهو يبدي
اعجابه بقاومتها الرشيقة وردائها الأزرق الناعم... وكان يركز

عينيّه على وجهها الشاحب، وقال:

"حسنًا، يا راشيل... ما الذي فعلته بنفسك؟"
ولم يحاول أن يقبلها، وكانت مسرورة بذلك... وأشارت
إلى الكرسي المقابل لها وطلبت إليه أن يجلس... وجلس
... وصارت تتأمل الورود التي أحضرها، وعبرت عن سرورها
بها فقالت:

"إنها جميلة!"

كان جيمس ينظر إليها في شيء من الغرابة، وقال:

"كيف حالك يا راشيل؟"

"أوه! إنني بخير... أحسن بكثير... وقال الدكتور فريزر
إنه سيكون بوسعي مغادرة المستشفى خلال أيام قليلة."

"صحيح؟ ومن الذي سوف يهتم بشؤونك؟"

واحمر وجهها، وقالت:

"سأحاول..."

"هل رأيت سارة؟"

"لا، لكنني أتوقع أن أراها في القريب العاجل."

سكت لحظة وقالت:

"جيمس! لم أقدم لك الشكر بعد..."

"تشكريني؟"

"بالطبع! أقصد لما بذلته في إنجاز العملية الجراحية، وأسفة
لأن دخولي المستشفى أدى إلى تأجيل شيء آخر، أليس
كذلك؟"

وظل جيمس ينظر إليها بثبات لعدة دقائق، وقال:

"أنت لم تري جويل بعد؟"

"لا! لم أره منذ تلك الليلة التي أجريت لي فيها العملية،

وعلمت أنه هو الذي أحضرني هنا..."

"نعم! لقد فعل ذلك!"

"ماذا كنت تفعلين وأنت تهبطين على عجل درج المبنى الذي

يقيم فيه جويل؟"

"ألم يخبرك هو بذلك؟ أعتقد أنه لم يفعل، أو أنك لم تسأل؟

وقع بيننا شجار حول رغبة جويل في أن يتبنى سارة..."

"ولا يزال ينوي ذلك..."

"أعرف، ولكنك لن تسمح الآن بأن يحدث شيء من هذا، أليس

كذلك، يا جيمس؟ لقد وعدت بذلك!"

وتوقفت عن الكلام، وبدأ جيمس كأنه يحس بشيء

من تأنيب الضمير، وقال:

"هل تقصدين أنك تريدني أن نتزوج بأسرع ما يمكن؟"

وأومات راشيل بالموافقة، وقالت:

"كان هذا ما اتفقنا عليه!"

"فعلًا! كان هذا ما اتفقنا عليه!"

"إنني أريد أن يتم كل شيء لنضع حدا لهذا الموضوع..."

أريد أن يكون لسارة بيت صالح وأبوان صالحان... وبإمكانك

أن توفر لها هذا يا جيمس..."

ونفض جيمس على قدميه، وأخذ يذرع الغرفة وهو مستغرق

في التفكير:

"أعتقد أنه من الممكن أن نتزوج هنا... في المستشفى

..."

"ومن الممكن أن تعد الترتيبات اللازمة..."

عندئذ أخذت راشيل تتحسس شفتيها بأصابعها في شيء

من التفكير، وهي تقول:

"في المستشفى؟ ولكن مظهري سيء للغاية..."

وعلق جيمس على ذلك:

"أنا لا أرى أي غضاظة في ذلك..."

وحاولت راشيل أن تفكر بطريقة منطقية، وارتأت أنها إن

تزوجت بجيمس فلن تكون هناك فرصة للعودة، وكان الخاطر

مزعجا، ولكن لو أرادت أن تحتفظ بسارة...

"حسنًا... إذا كان بإمكانك أن تفعل ذلك..."

وحاول جيمس تأكيد عزمه على التنفيذ في قليل من

عطرسه المألوفة:

"أوه، سوف أفعل..."

وسألته وهي تحاول أن تركز على الطفلة:

"هل رأيت سارة؟"

وأخذ جيمس يتفحصها عن كتب لعدة لحظات، كأنه يريد أن

يسبر دوافعها للسؤال، وأجاب:

"إنها بخير تام... وكان زرع الكلية نجاحا كبيرا..."

كانت راشيل تشعر بالإنهاك، ومع ذلك قالت:

"إنني مبتهجة للغاية! هل هي حقا بخير؟ متى تحضر

لتراني؟"

ونظر إليها جيمس مرة أخرى بإحدى نظراته الصارمة،

وهو يقول:
"في القريب العاجل ... سوف أعد الترتيبات اللازمة لكي
تقيم السيدة تالوت في المشقة وتعني بها."
"أوه! هل تفعل ذلك؟ إنه من حسن التدبير ... وإذن فلا بأس
أن أتجهل الانتظار. رغم أنه قد مضى وقت طويل لم أرها
فيه ..."

وقال جيمس:

"نعم!"

وعاد إلى كرسيه وجلس ثانية، وصار ينغرس فيها وقال:

"راشيل! أريد أن تعديني بشيء ..."

وردت وهي تنظر إليه بشيء من الشك:

"وما هو؟"

"أريد أن تعديني أنه إذا ما حاول جويل الاتصال بك، فسوف
تتاخرين على رفضك لرؤيته ..."

"حسناً، إذا كان هذا هو قرارك ..."

"إنه كذلك! أنا لا أريد أن يسبب لي المتاعب، وأعتقد أنه
فعل ما فيه الكفاية، سواء في هذه المرة، أو في المرات
الأخرى ..."

كان اليومان التاليان منهكين للأعصاب بدرجة بالغة ...
كانت في بعض الأوقات تخشى أن يظهر جويل ليواجهها
بتوايه، وفي أوقات أخرى تجد أنها تعاني من الضيق
والحيرة، فهي تخشى أن تتأذى سارة نتيجة لإجبارها بالقوة
على مفارقة الرجل الذي بدأت تعني به - ربما كانت هي،
راشيل، الانسانة - الأنانية، التي تنكر على ابنتها حقها في
الاختيار، بل ربما كانت تخشى أن تختار سارة البقاء مع
أبيها.

وفي اليوم التالي في فترة ما بعد الظهر جاءها زائر آخر،
كان الطبيب قد أزال الضمادات عن رأس راشيل في اليوم
السابق، ولم يترك سوى شريط لاصق سميك فوق الجرح. وكان
شعرها النابت حديثاً يزغبه الفضي قد بدأ يغطي فروة رأسها،
ووفرت لها المستشفى شعراً مستعاراً يتناسب ولون شعرها،
ولكنها كانت حساسة نحو ذاتها بطريقة شديدة، ولم تكن قد
استجمعت بعد الشجاعة الكافية لتلبسه فوق رأسها ... وكانت
تحسن بأن الضمادات الملفوفة على رأسها أكثر

قبولا من ذلك الشعر المستعار.

كانت الراهبة ثوماس تبدو مبتهجة عندما أخبرت راشيل
بمقدم الزائر الجديد، وأكدت لها في شيء من التسامح، وهي
تقدم لها الشعر المستعار، والمرأة لترى صورتها، وهي
تلبسها:

"إنه شخص أثق أنك تتمنين رؤيته ..."

وقامت راشيل بتثبيت الشعر المستعار، ونظرت إلى نفسها
في المرأة، وسألت وهي تعيد المرأة إلى الراهبة ثوماس من
جديد:

"ومن يكون؟ أرجو ألا يكون جويل كينغدوم!"

وهزت الراهبة ثوماس رأسها، وقالت:

"لا، أنتظري دقيقة! سوف أحضرها لك!"

وقبل أن تيدي راشيل أية معارضة بحجة أنها لم تعلن بعد
عن موافقتها على رؤية الزائر، خرجت الراهبة ثوماس،
وعادت بعد ثوان قليلة، ومعها جسم صغير يثب على الأرض
في ثوب قطني خشن أحمر اللون، وقميص أبيض بسيط، لها
شعر قاتم ناعم يتمايل حول وجهها الصغير المضطرب ... ولم
تكن راشيل تصدق عينيها، وقالت:

"سارة!"

وأسرعت تحتضن ابنتها بين ذراعيها، وهي تردد والدموع
في عينيها:

"أوه! لا تعرفين كم أحس بالسعادة، وأنا أراك الآن!"

وانسحبت الراهبة ثوماس بلباقة، وبقيتا لعدة دقائق
ملتصقتين. وأخيراً جذبت راشيل سارة نحو أحد الكراسي،
وجلست، ووضعت الطفلة على ركبتيها، وقالت:

"إنك على ما يرام! هل تحسین بأي ألم؟"

وأجابت سارة في شيء من اللامبالاة:

"إنني بخير تام، ولن أستخدم ذلك الجهاز بعد الآن ..."

وحركت راشيل رأسها في استسلام، وقالت:

"لا ... أفهم ذلك ... أوه ... سارة ... لقد افتقدتك كثيراً!"

وقالت سارة، وهي تربت بيدها على وجنة أمها:

"وأنا أيضاً ... لقد كان كل شخص رقيقاً معي للغاية ..."

وجاءني العديد من الهدايا واللعب. وأحضر لي جويل العديد

من اللعب وكان يقول إن بعضها منك ..."

"حقاً؟"

ترنح قلب راشيل، وحاولت أن تسيطر على صوتها المرتعش، وهي تضيف:

"وهل رأيت العم جيمس كذلك؟"

وجعدت سارة أنفها، وقالت:

"أوه! نعم، ولكنه أحضر لي فقط علبه موسيقية من ألمانيا."

"ولكن يا سارة نحن لا نحكم على الناس بما يخضرونه من الهدايا..."

"أعرف... ولكن جويل يقول إنه يحبني... ويقول إنه يريد أن أكون فتاته الصغيرة..."

وتقلصت عضلات معدة راشيل بشكل سبب لها الألم، وقالت:

"وماذا قال العم جيمس؟"

"لا أتذكر... أنا لا أحب ذلك الرجل..."

وهزت راشيل جسد سارة بعض الشيء، وقالت:

"سارة! أرجو ألا تقولي شيئاً مثل هذا... فضلاً عن ذلك فإن العم جيمس لم يكن يستطيع أن يأتي ليزورك مثلما فعل جويل. فقد كان هو الآخر بالمستشفى. أرجو أن تتذكري ذلك!"

"لماذا؟"

"أنت تعرفين... فقد أعطاك العم جيمس إحدى كليتيه لتقدو صحتك على ما يرام..."

"لا! هو لم يعطني شيئاً الذي أعطاني هو ذلك الولد الصغير... الذي مات!"

ووقعت راشيل في حيرة كاملة:

"ماذا تقصدين بالولد الصغير، الذي مات؟"

وهزت سارة رأسها وقالت:

"الولد الذي صدمته السيارة... كانت حادثة مؤسفة للغاية... ولكن الدكتور لوريمر قال: الله هو الذي يحسم هذه الأمور! وليس الإنسان!"

لم تكن راشيل تفهم شيئاً مما تقول، وسألتها:

"عم تتحدثين يا سارة؟"

وزفرت سارة زهرة نغير عن الحلق وقالت:

"يا ماما... ألا تفهمين؟ لقد شربت لك... صدمت السيارة طفلاً بالقرب من المستشفى في الليلة التي وقع لك

فيها الحادث... وقال جويل: الأطباء كانوا يبحثون عنك في كل مكان... ما عدا المستشفى!"

وقهقهت سارة عندئذ، وبدأت راشيل تدرك ما حدث، وقالت:

"تقصدين أنك حصلت على إحدى كليتي هذا الولد الصغير؟"

"هذا هو ما قلته بالضبط..."

حدث سارة أصبعها إلى أسفل ذقن راشيل تداعبها، وأكملت:

"ألم يخبرك جويل بذلك؟"

وحولت راشيل بصرها بعيداً عن سارة، وقالت:

"لم أر جويل!"

"لم تشاهده؟ ولكنه حضر لزيارتك؟ كان يريد أن يخبرك عن عزه في أن يجعلني فتاته الصغيرة..."

وأزاحت راشيل سارة من عن ركبتيها، ونهضت على قدميها

في شيء من عدم الاتزان، اذ بدأت فجأة تدرك مغزى أشياء

عديدة... ما ذكرته أريكا من أن جويل هو الذي أعد

الترتيبات الخاصة باستزراع الكلية، اضطراب أريكا عندما

سمعت راشيل تذكر عرضاً أن جيمس كان في المستشفى،

وفوق ذلك شك جيمس عندما حضر ليزورها أول مرة... ذلك

الشك الذي زال عنه عندما أدرك أنها لا تعرف شيئاً عن

الحقيقة كاملة... واضطربت دقائق قلبها... ألماذا اقترح

عليها أن يتزوجا في الحال؟ في المستشفى؟ لا بد أن الأمر

كان كذلك... وأكد لها ذلك أيضاً، حرصه على ألا ترى جويل؟

وأخذت تلهث بهمق، كان الذعر يعتدل في نفسها كأنه قوة

دافعة... لو أن سارة لم تحضر إليها... ولو أنها لم تعرف

الحقيقة... لتزوجت جيمس بدون مقابل... ولكن، ألم يكن في

ذلك شيء من القسوة على جيمس؟ لم يكن الذنب ذنبه عندما

أتيح لسارة أن تحصل على كليتها من شخص آخر! كان على

استعداد لأن ينجز ما تعهد به من ترتيبات! ولكن الترتيبات

لم تكن لازمة الآن! أم أنها كانت لازمة!

وضغطت راحتها على وجنتيها، ماذا كان تأثير ذلك كله

عليها؟

كان جويل لا يزال ينتظر، وكانت رغبته في تبني سارة لا

تزال ترغرف فوق رأسها بل كان ذلك واضحاً في كل ما

نشاء الله

قائلة سارة منذ دخلت الغرفة، وكانت لا تزال أمامها الفرصة لتتزوج جيمس لو أرادت الاحتفاظ بالطفلة! ولكن هل كان بإمكانها أن تفعل ذلك؟ ليس لمجرد أنها لا تحب جيمس... لو أنها لم تكن تحب رجلاً آخر، لكان الأمر سهلاً. فهو مقبول في بعض جوانب شخصيته رغم قسوته، وربما عاشا في سعادة كاملة. ولكن كان عليها أن تفكر في سارة. إذ لم تعد صاحبة الحق المطلق في الاستئثار بعواطف الطفلة.

كانت سارة خلال ذلك، تنمد بقوة في رداؤها، وهي تقول: "ما... ما الخبر؟"

والتفتت راشيل إليها في الحال وقالت وهي تجذبها تجاه الكرسي من جديد:

"لا شيء يا حبيبتي... تعالي واجلسي، يا سارة. لذي ما أقوله لك. لا بد أن أشرح لك شيئاً."

"ماذا؟ يبدو عليك السخط، هل أنت غاضبة مني؟"

"غاضبة منك! بالطبع لا..."

وعانقتها وقالت:

"لست غاضبة... أنا التي أرجو ألا تفضيبي مني."

وعبست سارة وقالت:

"ولماذا أغضب منك؟"

"ماذا تقولين... إذا اعترفت لك أن جويل هو أبوك فعلاً؟"

ولهت سارة، وقالت:

"ولكن أبي مات! "

"لا... لا... هو لم يموت... إنه حي..."

"جويل؟"

وأومأت راشيل بالموافقة، وانفجرت شفتا سارة في دهشة،

وقالت:

"لا أكاد أصدق! هو أبي حقاً؟ ولكن كيف؟ ولماذا؟ ولماذا لا

تعيشين معه، إذن؟"

"إنها قصة طويلة، يا سارة! ولكنها ببساطة أن ماما وبابا

وقع بينهما خلاف كبير وانفصلا. وأنت عشت معي. أما جويل

فعاش في لندن..."

"ولكن، ألم يكن يحضر لزيارتك؟"

وكررت راشيل شفتها، فقد كان السؤال يبدو أكثر صعوبة

عما ظنت، وقالت:

"لم يكن يستطيع ذلك، بل لم يكن يعرف شيئاً عنك..."

"كيف؟"

"أنت تعرفين من أين يأتي الأطفال؟ أليس كذلك يا سارة؟"

رايت النساء في القرية عندها كن ينتظرن أطفالاً..."

"نعم... إن نمو الأطفال يحدث في بطون الأمهات..."

"نعم... حسناً... وأنا لم أكن أعلم أنك في بطني إلا

بعد... بعد أن انفصلنا أنا وأبوك..."

وأشرق وجه سارة، وقالت:

"إذن لم يكن يعلم شيئاً عني؟ حتى تقابلنا في الفترة

الآخيرة..."

وبدت على وجه سارة التسمية، وقالت بارتياح كبير:

"والآن يعرف ذلك، ولهذا يريد أن يجعل مني فتاته الصغيرة..."

"حسناً... نعم! "

ورفعت سارة كتفها بنشوة كبيرة. وقالت في صوت فيه

شيء من الاحترام:

"أوه! يا له من شيء عظيم... وإذن نستطيع أن نذهب

لنعيش في ذلك البيت الجميل الذي يطل على مدينة لندن من

جميع الجهات... هل تعرفين أن لديه غرفة كبيرة معظم

جدرانها من الزجاج... ويقوم فيها برسم اللوحات..."

"يمكنك أن تذهبي لتعيشي معه إذا شئت يا حبيبتي... إنه

يريدك... ولكنني لن أعيش معكم هناك..."

"ولم لا؟"

"من الصعب أن تفهمي... ولكن حسناً... فأنا وجويل... لا

نتفاهم سوياً، وكذلك فإن لديه أريكا..."

"أوه! تلك المرأة، أنا لا أريد أن أعيش معها..."

وردت راشيل في ثبات:

"سوف تعيشين مع جويل، وسوف تكونين فتاته الصغيرة، كما

قلت... ألا تحبين ذلك؟"

"بدونك؟ أنا لا أريد أن أتركك..."

وتنهدت راشيل:

"لا داعي لأن تتخذني القرار الآن..."

وحبست الدموع الساخنة التي كانت تشتعل في عينيها،

عندما لاحت لها فكرة، وقالت:

"وكيف حضرت إلى هنا... إذن؟"

وجذبت سارة كتفها، وقالت:
"أخبرني الدكتور لوريمر."
وزفرت وقالت:
"إنه يريد أن يراك أيضا."
حقا؟

مدت راشيل يدها إلى شعرها، وقالت:
"أعتقد أنه من الأفضل أن نطلبني إليه الدخول."
ولمست سارة شعر أمها قبل أن تنزل من فوق ركبتيها
وقالت:
"شعرك قد أصبح مختلفا، لم يعد ناعما كما كان. أنا لا أحب
هكذا."

واصطنعت راشيل ابتسامة باهتة، وقالت:
"ولا أنا... إنه شعر مستعار... كان عليهم أن يخلقوا شعر
ما لا إجراء العملية."
"تقصدين... أنك صلعاء..."
كانت راشيل تود ألا تسمع كلمة بهذه القسوة وأومات تقول:
"يمكنك أن تقول ذلك."
"هل يمكنني أن أرى؟"
"ليس الآن، الذهبي وقولي للدكتور لوريمر إنني أحب أن أرا
الآن."

وأخذت الراهبة توماس سارة لتشرب عصير البرتقال بينما
كان الجراح يتحدث إلى راشيل عن الآثار التي يمكن أن تنجم
العملية، وشرح لها نوع العلاج اللازم، وتأكد من أنها فهمت
تماما، وواصل الحديث معها، يقول:
"كانت سارة سعيدة الحظ للغاية، كما تعرفين، يا سيد
غيلمور، لقد كانت فكرة استزراع كلية شخص راشد تتطلب
قدرا كبيرا من العلاج، أما الآن فليس هناك ما يمنع علو
الاطلاق أن تحيا سارة حياة عادية تماما."

"كان السيد كينغدوم... جويل كينغدوم... يقول إن
المقابر المثبطة لأجهزة طرد الكلية العاخرة من جسم شخص
راشد يمكن أن تؤثر على النمو الجسمي لسارة."
"أعتقد أنه على صواب... وما زالت الأساليب الطبية
المستخدمة في هذا الميدان محدودة نوعا، ولكنها تتحسن..."
وعلي أن أضع أن عملية استزراع الكلية في الأطفال ما

زالت. في مرحلة المهد، ومع ذلك فإنها تبدو مجالا مشيرا...
وسكنت لحظة ثم قال:
"كانت سارة تتقبل حياتها معناء على ما أعتقد. رغم أننا
جعلناها تقيم فترة أطول بقليل من اللازم بعد الحادث الذي
وقع لك حتى نتأكد من أن كل شيء سوف يسير جيدا بعد ذلك
على ما يرام."

"الحقيقة إنني مدينة لك بالشكر والتقدير...
وابتسم الدكتور لوريمر وهو يقول:
"لا تذكر ذلك... سارة طفلة فائنة."

ونظر إلى وجهي راشيل الشاحيتين، وقال:
"أعتقد أن هذه الزيارة طالت أكثر من اللازم. وهي الزيارة
الأولى، ويبدو أنك متوترة بعض الشيء يا سيدة غيلمور! ولكن
صدقيني، ليس هناك ما يقلقك، وجاء الوقت لكي تقولين
"وداعا" لسارة."

ولكن ذلك كان موقفا مؤلما، وأحست الصغيرة بالقلق الذي
كان يعتورها، وقالت وهي تهمس في شيء من الارتجاف:
"لا تقلقي يا ماما! لن أتركك..."

كانت راشيل ترقد في تلك الليلة وحيدة في غرفتها...
وساعد ذلك على إذكاء الوسواس، وفكرت إذا هي لم تتزوج
جيمس كينغدوم فلن تكون قادرة بحال على أن تقدم لسارة
حياة تحاثل ما يستطيع جويل أن يوفره لها. ولكن، هل يكفي
الخب لتعويض سارة عن ذلك؟ وبصفة خاصة أن جويل كان
سيقدم لها الحب أيضا؟

ومع بزوغ شمس الصباح، وصلت إلى القرار، كانت متعبة
ولكنها كانت على شيء من العزم والتصميم، اقتضت بأن
وجودها بالقرب من سارة يمزق عاطفة الصغيرة. فلا يمكن لها
بل لن تستطيع أن تختار جويل... ووجدت أنه من الأنسب أن
تختفي من الساحة وتتيح لجويل الفرصة مع الطفلة لكي يعوض
عن السنين التي عاشتها مع أمها فقط... وربما تم اللقاء
بينهم ذات يوم، وعندئذ تكون سارة قد كبرت فتقرر لنفسها.
وكادت تجهش بالبكاء عندها تخيلت أن شخصا آخر يعني
بشؤون سارة، يبدل لها ملابسها، وينظم شعرها بالفرشاة،
وبعائونها على النوم، ويستمتع بالخصوصيات الدقيقة التي
كانت تستمتع بها هي من قبل. وصممت على أن تنفذ

قرارها مدفوعة بنوع من الالتزام الخلقي، سوف تنسى سارة
التي ستندمج في حياتها بسرعة كما يفعل سائر الأطفال.
وسوف يكون جويل معها ليعاونها، وليسري عنها، وليصحبها
معه أينما ذهب. سوف تنسى خبراتها المؤلمة في الحاضر
وسوف تستمتع بمستقبل مشرق وضوء.

فراشة الحبة

(١) - الفرار المحال

لا يزال هناك حاجز آخر ينبغي أن نتخطاه، ذلك الحاجز هو
جيمس كنفدوم... وكانت راشيل تعلم أن عليها أن تواجهه،
وكان من حقه أن يعرف خططها للمستقبل. وعندما تستطيع أن
تغادر المستشفى فسيكون عليها أن تتخذ الترتيبات اللازمة
لكي تنتقل إلى مكان آخر غير لندن.

ومضى يومان آخران قبل أن يظهر جيمس. وجاءت سارة
لتراها من جديد، وكانت تصحبها في هذه المرة إحدى
المرضعات المشابات. وأحست راشيل بالارتياح عندما رأتها في
حالة صحية طيبة. ولم تكن تكف عن الحديث حول... كيف
أصبح جويل أباه... وعندما كان وقت الانصراف كانت
أعصاب راشيل قد صارت مشدودة تمامًا.

وفي الصباح التالي أخبرتها الراهبة ثوماس أن جيمس
كنفدوم جاء ليزورها، وكانت راشيل نهضت من الفراش.
وعندما دخل جيمس أجفل لرؤيتها، وقال:

"سوف يسعدك أن تعلمي أنني اتخذت كل الترتيبات...
وسوف نتزوج خلال يومين من الآن."
وعندئذ تحدثت راشيل:

"أوه! لا، لن نفعل ذلك، يؤسفني أن الموقف تغير، يا
جيمس."

وحملق فيها جيمس:

"ماذا تقولين؟ ماذا قال لك جويل؟"

"لم يخبرني بشيء..."

وتجمعت شفتاها:

"لماذا فعلت ذلك يا جيمس؟ كيف خطر لك أنه بإمكانك أن

تفضي في هذا الأمر إلى آخره بدون أن تفكر في عواقبه؟"

وكان وجه جيمس يعكس الذعر الذي أصابه، وتحدث في

صخب وعنف:

"أنا لا أعرف عن أي شيء نتحدثين؟"

"أوه... نعم... إنك لم تغط سارة إحدى كليتيك، بل كنت في ألمانيا عندما أجريت لها عملية استئزاع الكلية، والذي فديس له سارة بشفاؤها هو طفل مسكين توفي...
وأحكم جيمس قبضة يده:

"لم أقل أنني شاركت في عملية نقل الكلية... هل قلت لك ذلك؟"

"ولكنك لم تقل إنك لم تشارك، ولا تنسى أن جويل لا يزال يطالب بتبني سارة...
أعرف ذلك..."

"وسوف أسمح له أن يفعل. لقد وقفت في طريقه بما فيه الكفاية يا جيمس، بنون جدوى! "

"راشيل! إنك لا تعرفين ما تقولين! "
"بل أعرف. إنني لا أستطيع أن أهرمه من ابنته إذا كان حقا يريد... "

"راشيل، إن هذا جنون! "

"منذ جاءت سارة لتزورني، يا جيمس... "

"سارة! هل جاءت لتزورك؟ (واحد بأنه يترنح) ولكن كيف؟

إن جويل في فرنسا! كيف؟ كيف استطاعت إذن؟ "

"لقد أحضرها السيد لوريير في أول مرة... "

"وإن هي التي... "

"نعم... كان ينبغي أن تدرك ذلك... سارة تعرف جيدا كل ما يدور حولها... "

وصار جيمس يذرع الحجرة بشيء من القلق وقال:

"لا أستطيع أن أصدق يا راشيل! هل فكرت فيما يمكن أن يحدث... "

"جويل يريد الطفلة، ويريد أن يتبناها، ولكن اعتقد أنه يدرك أنها تشبهني إلى حد كبير بحيث لا يمكن أن يستعديها على أمها... "

وهز جيمس رأسه، وقال:

"سوف تقدمين على ذلك... "

وطأ طأت راشيل رأسها، وقالت:

"من المحتمل يا جيمس. فذلك لم يكن قرارا سهلا، وقد يعني أنني أتركك... ولكنك تركتني أيضا عندما حاولت أن تخفي عني الحقيقة، زواجي بك قد ينفي أي حق قد يظل لي به

عني الحقيقة، زواجي بك قد ينفي أي حق قد يظل لي به

عني الحقيقة، زواجي بك قد ينفي أي حق قد يظل لي به

عني الحقيقة، زواجي بك قد ينفي أي حق قد يظل لي به

عني الحقيقة، زواجي بك قد ينفي أي حق قد يظل لي به

عني الحقيقة، زواجي بك قد ينفي أي حق قد يظل لي به

عني الحقيقة، زواجي بك قد ينفي أي حق قد يظل لي به

عني الحقيقة، زواجي بك قد ينفي أي حق قد يظل لي به

جويل... ولكني لا أستطيع أن أفعل ذلك! لا أستطيع! "

"سوف يذهب بها بعيدا... "

"قد يحدث ذلك بالفعل... "

"أشترى بيتا في فرنسا، وينوي أن يعيش هناك... وسوف يصفي عمله المريح هنا في لندن... "

وصاحت:

"لا علاقة لي بهذا... وأتمنى أن يعيش في سعادة كاملة... "

وحدق جيمس فيها بوهن، وقال:

"يبدو أنك عقدت العزم بالفعل على ذلك... "

"نعم... "

"لعنة الله... "

قالت جيمس واستدار صوب الباب، وخرج من الحجرة.

وغاصت في كرسيها تلتبس فيه الهدوء. وكان كل ما بقي هو أن تتحسن صحتها بدرجة تمكنها من ترك المستشفى لتجزم

مناعها وترحل. ولم تكن تنوي أن تخبر سارة برحيلها، وكان ذلك في رأيها السبيل الأفضل، لأنها لم تكن قادرة على

مواجهة مشهد الوداع الذي ربما مزقها. وقررت أن تترك خطابا لجويل يستطيع من خلاله أن يشرح الموقف لابنته،

ابنته وليست ابنتها منذ ذلك الوقت فصاعدا.

خرجت راشيل من المستشفى بعد ذلك بثلاثة أيام دون

الحصول على موافقة الدكتور فريزر، ورغم المعارضة الجديدة

من الراهبة توماس التي قالت:

"لقد أفلتت من الموت بمعجزة يا سيدة غيلمور! ألا ترين من

المخاطرة بصحتك الآن شيئا من التهور... "

والتفت إليها راشيل، وهي تلبس سترتها، وقالت:

"أشكر اهتمامك، ولكن لا بد أن أخرج... "

"وماذا عن سارة؟ هل تعتقدين أن المخاطرة بصحتك شيء في

صالحها؟ "

وزمت راشيل شفطتها لتمنعها من الارتعاش، وقالت:

"سارة... أوه... سوف تكون بخير... وسوف تعيش مع

أبيها... "

وبدا على الراهبة توماس شيء من عدم الارتياح، وقالت:

"سامحيني، يا سيدة غيلمور، ولكن زوجك لم يحضر بتاتا

ليعودك خلال المرض... "

ليعودك خلال المرض... "

ليعودك خلال المرض... "

"ليس لي زوج... كان مالي هو ابنة واحدة، وكثير من الذكريات المؤلمة..."

وترددت بعض الشيء، وقالت:

"والد سارة هو جويل كينغدوم... والآن هل تفهمين؟"

كانت الشقة باردة وموحشة عند عودتها، ولكنها أشعلت المدفأة الكهربائية حال عودتها، وفتحت علبة حليب، وأعدت لنفسها فنجانا من الشاي، كانت تنوي أن تقيم في الشقة ليلة واحدة، تقوم فيها بكتابة رسالتها إلى جويل. وفي اليوم التالي أن تسحب نقودها من المصرف لتحجز تذكرة سفر إلى مدينة أخرى.

وأحسّت بالانهاك بعد ما بذلته من جهد في صنع الشاي، واضطرت أن تجلس لتستريح قبل أن تشرع في حزم متاعها. وفكرت أنه سيكون عليها أن تحجز غرفة في أحد الفنادق حتى تستعيد صحتها.

وعندما دخلت مخدع سارة أخذت تتلفت حولها وقد استولى عليها يأس غامر، كان كل مكان في الغرفة يذكرها بها. وأدركت أنها لن تكون قادرة على أن تصنع من حياتها شيئا على الإطلاق إذا ما استسلمت باستمرار للعواطف. واستراحت في فترة ما بعد الظهر، وعندما حل المساء أحسّت بأنها أصبحت قادرة على حزم إحدى الحقيب، وفتحت أبواب خزانة الملابس، وصارت تتفرس في صنوف الثياب التي دفع ثمنها جيمس، لم تكن تريد أيًا منها. وكانت قطع الثياب التي قررت الاحتفاظ بها هي ملابسها الأصلية. وكانت نزوة سخيّة حقًا أن تلبس الملابس التي كانت ترتديها آخر مرة رآها جويل.

كانت في غرفة النوم تطوي السترات وتضعها في الحقيبة عندما انفتح الباب الخارجي للشقة، وسمعت شخصا يدخل، واضطربت دقات قلبها لحظة، وساورتها كل المخاوف التي كانت تتضمنها قصص جيمس عن السكن في وحدة في مثل تلك الشقة، ولكن عاودها التعقل عندئذ، كان هناك شخصان فقط بخلافها معهما مفتاح للشقة: جيمس، والسيدة تاليوت.

ونشقت نفسا عميقا، واتجهت إلى باب غرفة النوم بينما دخل الزائر الغريب إلى غرفة الاستقبال ليحدها، لم يكن جيمس ولم تكن السيدة تاليوت. كان جويل هو الذي

يقف أمامها. ورفعت يدا مرتعدة إلى رأسها العاري وأحسّت بنعومة الشعر الجديد النامي، وخشيت أن يرى الرجل الذي كان يصدق بهمرارة في شخصها منظرا مزعجا للقايّة. واستطاعت في النهاية أن تجد القدرة على أن تنطق بالكلمات:

"جويل، ما الذي جاء بك إلى هنا؟"

ورد جويل في نبرات نائرة:

"راشيل! لماذا بالله تركت المستشفى، يا راشيل؟"

وامتد بصره إلى ما وراءها، إلى حقيبة الملابس المفتوحة على السرير، وقال:

"ما الذي تفعلينه، عليك اللعنة؟"

كانت راشيل تود لو استطاعت أن تغطي رأسها بيديها، وكانت حساسة جدا لمنظرها السيء، واستدارت تبحث عن الشعر المستعار الذي كانت قد ألقت به أمام المرأة. ولكن جويل أمسك بكتفها من الخلف، وأدارها نحوه لتواجهه، وأمسك بالشعر المستعار من يدها، وألقى به جانبا، وقال:

"أجيبيني، يا راشيل! أريد أن أعرف."

وأجبرت راشيل نفسها على أن تقول:

"دعني ألبس الشعر المستعار أولا!"

واكتفى بأن هزها برقة، ودمدم بوحشية:

"أنا لا يهمني الشعر المستعار، ولا يهمني مظهرك يا راشيل! أخبريني ما الذي تنوين فعله؟"

وطأطأت رأسها، وهي لا تدري أنها جعلت خصل الشعر الناعم على مؤخرة رقبتها تتبدى لناظريه، وقالت:

"كنت... كنت أنوي الرحيل... أوه... ليس مع سارة..."

كنت أنوي أن... أكتب إليك... ولكن يغني عن ذلك أن

أخبرك الآن... لا مانع عندي من أن تبقى سارة معك."

"ماذا؟"

"بوسعها ذلك، وهي تريده. لقد قالت إنها لا تريد أن

تتركني، ولكن أعرف..."

وعلق بحدّة:

"تعرفين؟ أنت لا تعرفين شيئا..."

وأطلقها فجأة لدرجة أنها كادت أن تسقط على الأرض،

ولكنه أمسك بها ثانية بصرخة ألم مكبوتة. وجذبها وقال:

"أوه... راشيل! لا تذهبي... لا تتركيني!"

وعندئذ جذبت راشيل نفسها بعيدا عنه، وأخذت تحديق النظر فيه، وقالت:

"جويل... انتهينا من كل هذا..."
"لا... لم تنته بعد..."

والتفت عيناه القاتعتان بعينيها... والتفتت راشيل بعيدا، وقد أصبحت عاجزة عن النظر إليه دون أن تلقي بنفسها بين ذراعيه:

"لقد انتهينا... قلت لك إن بوسعك أن تأخذ سارة... وعندما تكبر بالدرجة التي تستطيع فيها أن تقرر لنفسها... فسوف أعود..."

ودمدم وهو يمسك بكتفيها، ويجذب ظهرها نحوه:
"لن أسمح لك بأن تفعلي ذلك! أوه! يا راشيل! أنصتي الي... أنصتي الي..."

وصاحت في شيء من اليأس وهي ترفعه، وتحس باستجابته الفورية لاقتربها منه:
"قلت أنك تريد أن تتبنى سارة..."

"أعرف أنني قلت ذلك... أريد أن أتبنى سارة بعد أن نتزوج قورا..."

لم تكن راشيل قادرة على أن تصدق ما سمعته، وقالت:

"ماذا؟ جويل؟"

وقال بصوت أبح:

"أرجوك بالله ألا تتحركي، فقط ابقي حيث أنت يا راشيل! إنك لا تعرفين كم يبدو هذا جميلا!..."

"جويل! أنت قلت عندما نتزوج؟"

"أعرف أنني قلت ذلك..."

وحاولت راشيل ألا يبدو عليها الاضطراب بدرجة كبيرة، وسألته:

"من أجل... من أجل سارة!..."

ورد بصوت أجش، وهو يحتضن وجهها بين يديه:
"لا! ليس من أجل سارة يا إلهي... يا راشيل... أنت بحاجة إلى الاقناع، هل أنا بحاجة إلى أن أركع على ركبتي وأطلب يدك..."

وسألت:

"هل تقبل أن تفعل ذلك؟"

"لو طلبت ذلك لفعلته... لا بد أن تشعرني بشعوري نحوك... اذ عبرت عنه في مرات عديدة..."

وحاولت راشيل أن تقتنع بما سمعت، وسألت:

"ولكن، ولكن... أريكا؟"

"أنا لا أحب أريكا... ولم أحبها قط... ولقد قلت لك ذلك... إنني أحبك! ولقد أحببتك دائما... وعندما افتقدتك، تعذبت كثيرا... صدقيني!..."

"ولكنني أظن أن والدك... قال..."

"إن لوالدي حسبا كبيرا..."

"ولكن أريكا..."

"أعرف، أعرف أن أريكا جاءت لتزورك، ولكنني لم أكن أعلم بتلك الزيارة وكيف كان بإمكانني أن أعلم؟ وقد كنت في فرنسا، ثم رجعت، ورفضت أنت مقابلتي!..."

"كان بإمكانك أن تصمم!..."

"لا يستطيع الإنسان أن يصمم مع شخص مريض، يا راشيل! ولقد كنت في حالة سيئة، كنت مهيتا للانتظار، ولم أكن أعلم أنك تقدمين علي عمل جنوني مثل ترك المستشفى..."

وارتعد وقال:

"أنني لا أستطيع أن أتصور ذلك، لو أنني لم أعد، وأتجه إلى المستشفى لكنت اختفيت ثانية!..."

ونطقت وهي تضع يدها على صدره:

"كنت أظن أن ذلك ما تريده أنت..."

"كيف؟ بعد ما عبرت لك عن مشاعري بكل الطرق..."

"كنت أعلم... أنك تريدني، ولكن من قبل كنت تريدني أيضا!..."

"إنني لم أكف أبدا عن أن أريدك، عليك أن تصدقيني! لو أنك رجعت، لعرفت..."

"ولكنك لم تكن تريد الأطفال أبدا، يا جويل! لقد قلت ذلك..."

وتنهَّد وقال:

"نعم، ربما أكون بحاجة إلى أن أوضح لك شيئا، كان ينبغي لأبي أن يخبرك به، لقد ماتت أمي بمرض الكلى..."

"هل تعني؟"

"نعم أعني... أنه إذا كان مرض سارة يرجع بشكل ما إلى الوراثة، فإن ذلك يعود إلى أسرتي أنا وليس إلى أسرتك..."

أفهم....

وأغلق جويل عينيه لحظة، ثم فتحهما من جديد، وقال:
"أعرف أن هذا ليس عذرا بالطبع عن الطريقة التي تصرف
بها. ولكن أبي كان قد تغير بعد وفاة أمي، كان كل شخص
يقول ذلك، كان يحبها بطريقة جنونية، وأخذت على نفسي
عهدا ألا أحب امرأة بالطريقة نفسها. وكنت قد قررت أنه إذا
حدث ووقعت في حب فتاة، فأنني لن أتزوج بأية حال، بل لن
يكون لي أطفال منها حتى لا يهدموا العلاقة بيننا."
"أوه، جويل!"

"إنني لا أشعر بالرضى عن نفسي عندها أفكر في المعاناة
التي مرت بها وحدك. كان من الواجب علي أن أمنع حدوث
شيء مثل هذا... ولكن معك...."
ونظر إلى فمها في شيء من الاثارة:
"أنت تعرفين كيف بلغت العلاقة بيننا، ولم أكن أريد أن
أفسدها، ولكنني فعلت."
ونطقت:

"أوه! جويل! أحبك!"

وعندما رفع رأسه في النهاية، كان يتنفس بطريقة
مضطربة، وكانت عيناه تبدوان كما لو كانتا قد كسيتا بطبقة
رقيقة لامعة كما رأتها من قبل:

"أوه! يا إلهي، يا راشيل! أرجوك ألا تتركيني أبدا، لهذا
أردت سارة، وليسامحني الله، لأنها ابنتك كما هي ابنتي.
أحبها، ولكن فقط لأنها تشبهك كثيرا، قد يقول البعض إنها
تشبهني، ولكنها تشبهك تماما."

كانت سرعة التأثير التي يتحدث بها مثيرة للغاية، وحاولت
راشيل بجهد كبير أن تتحدث عن أشياء تنتمي بطريقة أكثر
إلى الأمور الواقعية:

"إنك لم تحضر لتزورني بعد العملية، لماذا؟ لماذا أجلت
زيارتك لي إلى ما بعد زيارة أريكا؟"

"سافرت إلى فرنسا لأشتري منزلا، قصرا صغيرا في الواقع.
هل تشاركييني إياه؟ معي، ومع ابنتي؟"

ومدت أصابعها تتحسس بها ذقنه، وقالت:
"ماذا كنت ستفعل لو جئت إلى هنا بعد رجوعك، ولم
تجدني؟"

"كنت سأخرج في هدوء عن صوابي."

قالها بشيء من الثبات.

"لا أعتقد ذلك...."

"لأ؟ أعتقد أنني كنت سأفعل... بل إن أبي كان يظن ذلك
أيضا..."

"ماذا تعني؟"

"لقد اتصل بي هاتفيا هذا الصباح، وأخبرني أنه تلقى مكالمة
هاتفية من المستشفى تخبره بأنك كنت تنوين ترك
المستشفى اليوم... وارتأى أبي أنني ينبغي أن أعلم بذلك..."
"أوه، جويل!"

"من حقا أن تقوليها مرات... ومرات...."

"وإذن فقد أثبت أبوك أنه ليس شريرا إلى ذلك الحد..."

وتصلب فم جويل بعض الشيء، وقال:

"لست واثقا من ذلك. يعرف ما يعمل طوال تلك الفترة، وهذه
طريقته التي عاملني بها باستمرار... لو أنك فقط لجأت إلي
أنا منذ البداية..."

"وكيف كنت أستطيع ذلك؟"

وأوما جويل برأسه، وقال:

"أعرف! ما الاسم الذي كنت تطلقينه علي؟ أنا في وكاذب!
يا إلهي لقد دفعت ثمن ذلك. أما بالنسبة إلى أبي فأنني من
باب حسن الظن أقول إنه وجد في مرض سارة وسيلة يحمي بها
شعوره بالذنب نحو وفاة أمي. لقد كان يريد أن يساعدها حقا،
وإنني متأكد من ذلك..."

"والآن؟"

"والآن نتزوج بأسرع ما يمكن..."

ولمست رأسها بيدها، وقالت:

"أو لا يضايقك هذا؟"

وابتسم جويل ابتسامة دافئة فيها شيء من التسامح،
وقال:

"لماذا أتضايق، إنك تبدين وكأنك طفلة رضية..."

وتمتمت راشيل بسخرية:

"طفلة رضية نمت أكثر من اللازم!"

ورد جويل:

* ليس في نظري *
 وجذبها نحوه ، وقبل فروة رأسها الناعمة ، وقال :
 * سوف ينمو ، ومع هذا فأنني أحبك على أية صورة ، يا راشيل
 * أنا لا أنكر أنني أحبك عندما تكونين عروسا جميلة في
 شعرك الناعم الحريري . ليس المظهر هو ما يجتذبني لأنني
 أحب شخصك أنت : أم طفلي ، ومعزى حياتي *
 تمتمت قائلة :
 * سوف تبتهج سارة عندما تجد أن لها أما وأبا *
 وأضاف جويل في رقة :
 * وبينا كذلك . والآن هل تزيحين حقيبة الملابس هذه ؟ أم
 أزيحها أنا ؟ إنني منك تماما ، ولم أنم منذ ثلاثة أيام ، إنك
 لا تعرفين مدى المشقة التي سببتها لي ، ولا الليالي التي
 سهرتها *
 وسأله :
 * هل أستحق كل ذلك ؟ *
 وابتسم ابتسامة عريضة ، وقال في استسلام :
 * بدون أدنى شك *

فراشة المحبة

www.liilas.com